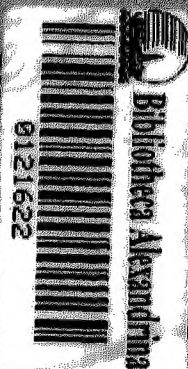


منهج البحث التاريخي

عائشة حسين فريد



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبدالله محمد

مَنْحُ الْجَنَّةِ الْبَلَاغِي

منهج البحث البلاغي

رکترة عائشة حسین فرید

استاذ مساعد فی قسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عده غریب

الكتاب : منهج البحث البلاغى
المؤلف : د. عائشة حسين فريد
الطبعة الأولى : ١٩٩٧
حقوق الطبع والترجمة والإقتباس محفوظة

الناشر : دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبدله غريب

شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسى مدينة العاشر من رمضان

والمطابع : المنطقة الصناعية (C1)

ت: ١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت، ف: ٢٤٧٤٠٣٨

رقسم الإيسداع : ٩٧/٥١٢٥

للتقديم الدولى : I. S. B. N

977-5810-23-x

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهداء

إلى من يحبون اللغة العربية وينقبون عن كنوزها وأسرارها،
إلى من يحبون البلاغة من أجل فهم إعجاز القرآن الكريم ،
إلى المشتغلين بالبلاغة والمشغولين بها ،
إلى كل من أسدىَّ إلىَّ معروفاً أو جميل صنع ،
أقدم هذا العمل المتواضع، راجية قبوله مني،
والتغاضي عن زلاتي.

د. عائشة حسين فريد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فالبحث العلمى ممارسة وتجارب وتطبيق، والباحث العلمى
قد يكون حديث عهد به، ولا بد له من دليل يرشده، ومرجع
يقصده فى هذا المجال، ويمده بالمناهج العلمية، والأساليب
الصحيحة، ويمنحه الطريق السليم للسير فى بحثه على ضياء،
فيوفر جهده ووقته، ويصل إلى هدفه المنشود.

وهذه خطوات تضىء الطريق أمام من يريد كيفية البحث والدرس
والتنقيب عن كنوز المعرفة وأسرارها ليصير ناضج العقل، ثاقب
البصيرة فى الإدلاء بأحكامه، ثابت الأقدام أمام طريقة البحث، فتتكون
لديه القدرة على التأليف، وكتابة الأبحاث بطريقة علمية سليمة، والبحث
البلاغى له قيمته وأهميته، لأن البلاغة فى ذاتها واجب على المسلم أن
يتعلمها، فهى أولى العلوم بالتعلم؛ إذ بها يُعرف إعجاز القرآن الكريم
معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ودلالة صدقه فيما بلغ عن
رب العزة سبحانه وتعالى، وبالبلاغة يستطيع الناقد أن يميز الكلام الجيد
من الرديء، كما أنها تمكنه من إنشاء الكلام الجيد، وابتكار المعانى
الغائبة، واختيار الألفاظ المناسبة.

ومنهج البحث يعد ضرورياً لكل باحث، وهو عون له حتى يحفظ
بحثه من الحشو والتطويل أو الاختصار المخل بالبلاغة، وتعتبر هذه
الخطوات ذات أهمية بالغة لمن يتخصص فى البلاغة لئلا يختلط عليه

الأمر مع الأدب، وذلك لأن الأدب حقل البلاغة، والبلاغة هي الثمرة الناضجة التي تجمل الحقل وتزيّنه، فيتذوقها المتخصصون ليبرزوا حلاوتها، وصفاتها المميزة.

هذا ولقد كثر الحديث عن البحث الأدبي، واهتم الكثيرون بالكتابة فيه، ولم أجد - على حسب علمي - من تحدث عن البحث البلاغي حديثاً خاصاً، فأثرت تبين ذلك موضحة الخيط الدقيق الذي يفصل بين الاتجاهين: الأدبي والبلاغي، - مع العلم أن اللغة العربية متكاملة بعلومها المختلفة من النحو والصرف وفقه اللغة والأدب والبلاغة، إلا أن لكل علم منها أسسه ومفاهيمه في تناول اللغة من جهته، حتى نصل إلى فهم أسرارها ومعرفة دقتها في التعبير وجمال الأساليب المستخدمة - ، وأوضحت مدى الصلة بين الأدب والبلاغة، وتحدثت عن أبرز المعاجم والقواميس وأهم المصادر والمراجع البلاغية التي يحتاجها الباحث في البلاغة، مشيرة إلى علماء البلاغة العربية، ومجمل ما تحويه كتبهم البلاغية من جهود تخدم علوم البلاغة، وتظهر ثمرتها في محاولات التوصل إلى فهم إعجاز القرآن الكريم حيث لا سبيل لفهم أساليبه الرفيعة إلا بطريق البلاغة.

وشاعت الفكرة التي تبين إعجاز القرآن الكريم الذي لا يفهم إلا عن طريق علوم البلاغة، فحفزت هذه الفكرة الكثير من الباحثين، وكان من حسن حظ البلاغة أن المناقشة في الإعجاز وفهم آيات العقائد قد روجت سوق البحث البلاغي، فنشط المتكلمون وأخذوا يبحثون في بلاغة القرآن الكريم، والتعرف على أساليبه، وبينوا كيف جعلوا من آياته دليلاً على إعجازه وغذوا أفكارهم بالمعاني القرآنية التي هي ذروة البلاغة، وعكف الجميع على تبين ذلك، فأظهرت فضل العلماء في هذا

المجال، وكيف اختلف أداؤهم باختلاف شخصياتهم وعصورهم، وتتبعنا هذا منذ بداية التأليف وأول من ألف في هذا الاتجاه، ومن ظهر بعد ذلك من علماء اتجهوا إلى البلاغة والدراسات البلاغية على مر العصور حيث تطورت الأفكار، واختلفت باختلاف الأزمان والأحداث وكتبت نبذة عما تحويه كتبهم مما يضيء الطريق أمام الباحث في البلاغة العربية ولتكون له عوناً لمعرفة المكتبة البلاغية بمؤلفيها ومؤلفاتها.

هذا، ولقد استعنت في بحثي بأمهات الكتب والمصادر والمراجع والمعاجم اللغوية، ومعاجم التراجم والسير التي تفيد الباحث في البلاغة.

ولقد احتوى البحث على الشروط الواجب توافرها للباحث والبحث وكيفية كتابة بحث بلاغي جيد على أسس علمية منظمة، مع تعريف الباحث بأبرز المعاجم اللغوية ومعاجم التراجم والسير، والمراجع البلاغية التي هي زاد الباحث في رحلته مع البلاغة التي تطورت عبر العصور، ثم أهم النتائج التي توصلت إليها، هذا وما أبرزته من عمل كان بمثابة معالم على الطريق.

وبعد ...

فإن كنت قد وفقت فيما إليه قصدت فذلك من فضل الله تعالى، وإن كانت الأخرى فحسبي أنى أخلصت النية، وصدق منى العزم، ولم أدخر وسعاً في البحث والتتقيب والنظر والتعقيب، والله أسأل أن يوفقني إلى خير الأعمال، وأن يكون عملي خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

"وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

د. / عائشة فريد

الفصل الأول

– التعريف بالبحث

– خطوات كتابة البحث البلاغي

يحتاج الإنسان إلى البحث العلمي لنهوض الأمة به، حيث لا ترقى الأمم دون تفكير متواصل فيما يزخر به الكون، ولذلك كانت نعمة التفكير من أجل النعم التي امتن الله بها على بنى آدم، فيها تظهر الحقائق، وتوضع في موضعها الصحيح بعد أن يكشف عنها أستار الغموض.

على أن الوصول إلى الحقيقة ليس هيناً في كل الأحوال، فقد يحيد المرء عن الطريق فيضل الفكر، ويتعذر عليه إدراكها، ولهذا كانت الحاجة ماسة إلى إضفاء الروح العلمية على التفكير العقلي من خلال منهج واضح المعالم ومحدد القسمات.

البحث : هو طلب الشيء والتفتيش عنه، وأن تسأل عن الشيء وتستخير^(١).

والبحث العلمي : دراسة متخصصة في موضوع معين حسب مناهج وأصول معينة.

أما البحث البلاغي : فهو - بالإضافة إلى ما سبق - الذي يشتمل على الطرق التي توصلنا إلى معرفة خلاصة الفكر والعاطفة والتعبير عنهما بأسلوب ينم عن ذوق فني، يتذوقه الناقدون وأصحاب الملكة اللغوية، ويسهم إسهاماً فعالاً في إبراز عناصر الجمال في الأدب العربي بعامة.

والبحث البلاغي يتجه بالأدب إلى البحث عن معرفة الأسباب التي أدت إلى إثارة المشاعر والانفعالات في قلوب القراء والسامعين، وذلك

(١) لسان العرب لابن منظور ٢١٤/١.

لاعتماده على الخيال في توضيح الفكرة وفي الكلمات المعبرة عنها، ويلاحظ ذلك في تصويره وتجسيمه للأفكار بما يسمى اللغة التصويرية التي تحتوى على التشبيه أو المجاز^(١) المرسل والمجاز العقلي والاستعارة والكناية، إذ أن الأديب لا يتحدث حديث الشخص العادي المجرد كلامه من التصوير، بل يتحدث حديثاً مصوراً بالألوان والحركة والصوت والسكون، وهو حديث يختلف باختلاف معانيه واختلاف مواقفه وأحاسيسه ومشاعره، فمثلاً قد يقف الأديب على شاطئ بحر، فيحس كأن البحر يلهث ويئن من التعب، وكأن الصراع مازال ينشب بين أمواجه ورمال الشاطئ، وتمضى به الأيام وتتبدل حالته النفسية، ويقف على المكان نفسه. وأمام ذلك البحر وتلك الرمال، فيرى البحر متألقاً ضاحكاً، ويتخيل لقاءً سعيداً ينعقد بين أمواجه ورمال الشاطئ، حتى ليظن أنهما يتعانقان عناق المحبين، وترتد الأمواج على استحياء، وقد أشرب وجهها حمرة الخجل.

ولا يتضح ذلك في المواقف وحدها، بل يتضح أيضاً في المادة اللفظية وما يجرى فيها من نظم وتصوير، ولذلك فإن الأدباء يأتون بما يمتعوننا به، إذ يخاطبون فينا جانباً مستكناً في نفوسنا، وهو ما جعلهم من قديم يعرضون علينا معانيهم بصورة

(١) والمجاز ينقسم إلى قسمين :

- أ - مجاز في المفرد أو الكلمة : فالمجاز في المفرد أو ما يسمى بالمجاز اللغوي : هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلامة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. فما كانت علاقته المشابهة يسمى استعارة، وما كانت علاقة غير المشابهة يسمى مجازاً مرسلًا.
- ب - مجاز في التركيب أو الإسناد : فمجاز الإسناد : هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الحقيقة، ويسمى بالمجاز العقلي.

مجسدة حتى يبلغوا ما يريدون من التأثير فيمن يخاطبونهم، ويوضح ذلك من بعض الوجوه ما نشعر به من فرق، حين نقول عن طلوع الفجر وتقلت أضوائه من الأفق مثلاً :

"ظهرت أضواء الفجر، وأن نقول : رأيت من خلال النافذة أنامل الفجر الرمادية وهى تتشب أظفارها في أعناق النجوم المرتعشة الشاحبة."^(١)

وأساس الفرق بين القولين، طريقة الأداء إلى جانب الخيال، فتأثير الصور الخيالية بالأداء البلاغي يؤثر في نفوسنا تأثيراً عميقاً، مما يجعلنا نفاضل بين أدائين.

وأستطيع أن أقول إثر هذا إن من أراد أن يؤلف كتاباً فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس فيتذوقون ما فيه، فيعجبهم أو لا يعجبهم، ويسرون أو غير ذلك، مما يجعلهم يبدون استحسانهم أو استيائهم وأسباب كل.

وإذا كان البحث يعنى في حقيقة معناه أن ينشد الباحث ضالته في مصادرها، وأماكن وجودها، وبذل الممكن من جهد وفكر وزمن للتوصل إليها وفهمها وتحليلها في أضيق وأوسع مدلولاتها، فالقدرة على الإبداع والتنسيق للأفكار في أسلوب علمي منظم وتعبير سليم واضح هو قوام البحث وعموده، والوسيلة الوحيدة لقراءة أفكار البحث والتعايش معها.

(١) انظر : البحث الأدبي للدكتور / شوقي ضيف ص ١٠-١٣ بتصرف ط ٦ دار المعارف.

والبحث العلمي مسئولية تتطلب من الباحث الأمانة العلمية، ولا بد للباحث من الصبر والمثابرة والتأني وبُعد النظر، والإخلاص في البحث ومتابعة الموضوع كلاً وجزءاً، وفي جميع الأوقات، وبهذا تتكشف جوانب البحث وتتابع الأفكار وتتوارد المعاني.

والتأني من ضروريات البحث العلمي ليكون الباحث انطباعاً سليماً، ويؤسس أحكاماً وتقديرات صحيحة، والإخلاص للبحث هو لب العمل وروحه.

ومن أجل كتابة بحث جيد، والوصول إلى الهدف المنشود يجب على الباحث أن يتبع خطوات يسير عليها لتلايضل طريقه، ولكي يعود ذلك على بحثه بالفائدة، وهي أساسيات لا يمكن إغفالها أو محاولة التغاضي عن الالتزام بها، وهذه الخطوات حسب أهميتها - كما أرى - هي :

١ - القراءة الواسعة :

وهي الإحاطة بكل ما يتصل بالبحث من أخبار سواء جاءت على لسان قدماء أو محدثين، وسواء أكانت محمولة إليه بوساطة المطبوعات أو المخطوطات، وأن يتأمل الباحث ويفحص ما قرأه، ويفهمه دون أن تغفل منه كلمة إلا وعاهها، ومن هنا تبرز عمليتان جسيمتان هما : الاستقراء والاستنباط، أي استقراء الحقائق الجزئية في القصيدة الواحدة من شعر شاعر اختاره الباحث، واستنباط الحقائق الكلية في الحكم على شعره والقضايا العامة التي تستنبط من السمات الأسلوبية التي يتميز بها عصر الشاعر.

وعلى الباحث أن يوازن ويقارن وينتخب ما هو مفيد لبحثه، فليس له أن يحشر كل ما جمعه للبحث، وأن يصنف المعلومات حسب الموضوعات التي يتضمنها بحثه مبتدئاً بالجزئيات والمفردات منتقلاً إلى الكليات، فهو يبدأ بدراسة الخاص، وينتقل إلى دراسة العام، فمثلاً يبدأ بقصيدة، ويتطرق إلى قصائد أخرى مماثلة في عصر آخر ؛ ليقف على ما تشترك فيه تلك القصيدة مع القصائد من خصائص بلاغية تميز بها أسلوب الشاعر.

فالاستقراء هو جمع المواد التي تخدم الموضوع الواحد، ثم يستتبط خلاصتها، والاستقراء الكامل يجنب الباحث الوقوع في الخطأ الكبير الذي يترتب عليه صدور أحكام نقدية ثابتة، ولكي نرى أثر قلة الاستقراء والاستتباط، أشيع عن أبي العلاء المعري أنه ملحد وأنه يهاجم الديانات ويستشهد الذين أشاعوا عنه ذلك ببعض من شعره، ولو أمعنوا النظر وأطالوا وقفهم مع شعره لوجدوا أنه يريد أصحاب الديانات الذين ضلّوا عن السبيل لا الديانات نفسها، فهم يهاجمونه في قوله :

أمور تستخف بها حلومٌ وما يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور

فحملوا البيت الثاني على أنه تفسير للأمور التي تستخف بها العقول في البيت الأول ونسوا أن تتكرر كلمة حلوم لا تشمل جميعها ولا تجزم بموافقة عقل الشاعر لذلك الحكم - ولم يتأملوا شعره ليجدوا أن ذلك مبتدأ وخبره في البيت التالي :

نهت أمما فما قبلت وبارت نصيحتها، فكل القوم بور

فيريد أن يقول : لما انصرف الناس عن نصائح هذه الكتب السماوية وأغمضوا أعينهم عن إرشادها وما تحويه من حقائق، تعرضوا للهلاك والدمار.

وهاجموا أبا العلاء ولصقوا به تقاعسه عن أداء الفروض الدينية لكرهه لها، ولو أنهم وقفوا مع قوله :
ولا تتركن ورعاً في الحياة وأد إلى ربك المفترض
لما كالوا له التهم ولما تورطوا في أحكام خاطئة.^(١)

وأنبه إلى أن من يقرأ إنتاج الكثير من الشعراء يجد لديهم أغراضاً شعرية مختلفة المعاني ومنها ما يتنافى مع الدين والأخلاق.

فالشعراء يهيمون في كل واد من أودية الشعر، ولهم أشعار تبين منهجهم في الحياة بكل ما فيها وعلى حسب خوضهم غمارها يكون الحكم لهم أو عليهم، وذلك لما فيها من الخير والشر.

والحكم عليهم متروك لله عز وجل^(٢) ولا ننسى قول الله تعالى:
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(٣)

(١) انظر البحث الأدبي ومنهجه نوري شاکر الألوسی ص ٢٦، ٢٧ بتصرف ط ١٩٨٤ م "دار الحرية ببغداد"

(٢) انظر : الصورة البيانية في ديوان السرى الرفاء ص ٥ إلى ١٠ د / عائشة حسين فريد . مخطوط.

(٣) سورة الشعراء ٢٢٣ : ٢٢٧.

ومن هذا يتضح جلياً أن القراءة الواسعة والاستقصاء الدقيق للنصوص، والإحاطة بجميع أطرافها والاستنباط الدقيق مع بيان ما خفى من الأسباب وكمن، شرط أساسى لجودة البحث، وثمرة ذلك هو اصدار الحكم على أساس واضح، فيكون حكماً نقدياً صحيحاً، وهذه الثمرة هي البلاغة وذلك الحكم النقدي مبنى على قواعدها وأساسياتها؛ لأن الأدب حقل البلاغة والبلاغة هي ثمرته الناضجة التي يتذوقها الفاهم لها، المحيط علماً بجمالها وجلالها في الأسلوب لدقة فهم التراكيب في نظم الكلام.

٢- التأمل الطويل والدقة المتناهية في التفسير :

حين يقرأ الباحث عليه أن يطيل الوقفة عند كل ما يقرأ وأن يستوعب الأفكار والآراء، ويعملهما، ثم يدون الخلاصة، وينصرف إلى رأى قد يعرض له فيحله، ويتبين الحقيقة بعدما تبدى على جنباتها من تيارات عرضية قد توهمه بصحتها، فعليه ألا يمر على تلك الأفكار مرّ الكرام دون فهم أو تأمل واستقصاء، فالاستقصاء ضرورى، فقد تجر الفكرة إلى فكرة أخرى والرأى إلى آراء، فيجب على الباحث ألا يترك نفسه في حيرة واضطراب في حكمه وتحليله واستنباطه، فمثلاً يقول الدكتور مندور : "وتلزمنا دقة التفسير في البحوث التاريخية للنحو والبلاغة والأدب ومذاهبه الفنية، وفى بحوث الشعراء وبخاصة إذا صدروا في أشعارهم عن عقائد أو أفكار فلسفية واعتزالية وغيرها وخاصة المؤلف الأدبى هى أن يثير لدى القارئ استجابات في ذوقه

واحساسه وخياله، وكلما كانت تلك الاستجابات أعمق وأوفر كان فينا الاستعداد الكامل للصوق بالمؤلف والتأثر به.^(١)

وإذا كانت المذاهب الفنية والعصور الأدبية تحتاج إلى دقة في التفسير، فذلك البحوث في تاريخ البلاغة التي تكونت فيه على مرّ الزمن، ومن يرجع إلى تاريخ البلاغة يلاحظ نص القدماء على أن المتكلمين هم الذين وضعوا في القرنين الثاني والثالث للهجرة أصول البلاغة العربية، وقد يرجع ذلك إلى ما كانوا يأخذون أنفسهم به من تلقين الشباب في البصرة كيف يفحمون خصومهم، وكيف يصوغون كلامهم صياغة تخلق ألباب سامعيهم، مما جعلهم يعالجون الموضوعين الأساسيين للبلاغة وهما : ماذا نقول ؟ وكيف ؟ على نحو ما يصور ذلك كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، من خلال ما نثره فيه من ملاحظاته البلاغية، وملاحظات غيره من المتكلمين أمثال بشر بن المعتمر والعتّابي، وما يلبث أن يظهر في القرن الثالث الهجري كتاب ابن المعتز "البديع"، وفيه يكتشف لأول مرة فنونه مجموعة، وهو يصور ذوقاً محافظاً معلناً في غير موارد، تعصبه للعرب، وأن المحدثين لم ينشئوا فنون البديع إنشاء من لدن أنفسهم، فكل ما لهم فيه إنما هو الإكثار من استخدام هذه الفنون التي سبقهم إليها العرب سبقاً لا شك فيه.

ويبدو أن هذه النزعة عند ابن المعتز كانت رداً على نزعة تحاول أن تتخذ من فلسفة اليونان وبلاغتهم معايير للبلاغة العربية، مما جعل البحتري يرد عليها في أشعار له معروفه، بأن الشعر لا يحتاج في قيمه البلاغية إلى منطق ولا إلى فلسفة، ورد معه عليها ابن المعتز، وهي

(١) البحث الأدبي ومنهجه ٣٠.

نزعة كانت تشيع في بيئة المتفلسفة، ومن قرأوا الترجمات اليونانية، بينما كانت تشيع النزعة المحافظة التي مثلها ابن المعتز في بيئة اللغويين، وكانت تتوسط بينهما نزعة معتدلة في بيئة المتكلمين التي كانت تستمع إلى ملاحظات اليونان وغيرهم في البلاغة، ولكن مع إخضاعها للفكر العربي، والنفوذ منها ومن ملاحظات العرب أنفسهم في البيان إلى وضع قواعده التي تتفق والذوق العربي الأصيل، وقد ساهم في نظرية النظم دفعت عبد القاهر الجرجاني إلى اكتشاف علم المعاني، وقد نعجب أن نعرف أن القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى قبله بنحو ستة وخمسين عاماً هو الذي هداه إليها إذ ردّ فصاحة الكلام وبلاغته إلى أدائه وصياغته التركيبية وما يشيع فيها من روابط نحوية، ذاهباً إلى أن جمال النغم والمعنى والصور البيانية تدخل في البلاغة والفصاحة ولكنها ليست ركناً أساسياً من أركانها، فأركانها الأساسية إنما هي الأداء وخواص التراكيب والنسب النحوية التي ينبغي أن تقاس قياساً دقيقاً، وبذلك وضع في يد عبد القاهر مفاتيح النغم الذي لحنه في كتابه "دلائل الإعجاز" مكتشفاً في تضاعيفه نظريته في المعاني.

ويحسن دائماً في بحث تاريخ البلاغة العربية أن نربط بين المباحث البلاغية والحركات الأدبية، فمثلاً يحدث منذ القرن الرابع الهجري بحث السرقات الشعرية، وقد يفسر ذلك بأن ضرباً من الجمود أخذ يسرى في الشعر العربي، والشعراء لم يحاولوا التفكير في موضوعات جديدة، بل ظلوا يرددون ويعيدون في الموضوعات المطروقة، وبالتالي ظلوا يكررون ما سبقهم إليه أسلافهم من المعاني والصور البيانية والبديعية، شاعرين أن أسلافهم لم يكادوا يتركبون لهم

شيئاً يمكنهم أن يبتكروه أو يضيفوه، فأكبوا على ماخلفوه ينقلونه، وكل منهم يحاول حسب مهارته أن يخفى ما جليه، حتى يظن سامعه أنه يأتي بجديد، وهو لم يأت بجديد، إنما دار وتكلف وأتعب نفسه في غير طائل، وقد وقف لهم البلاغيون والنقاد يردون أشعارهم إلى أصولها الموروثة موضحين ما نقلوه من المعانى والخواطر وصور البيان والبديع، وعلى هذا النحو يحسن أن يُفسّر التطور التاريخي للبلاغة العربية بالتطور الأدبي، إذ مازالت البلاغة والأدب يرتبطان ارتباطاً وثيقاً حتى انتهيا إلى الجمود والجفاف الشديد.^(١)

وعلى هذا النحو لابد أن يسند البحث بتفسير يعُمّه وتفسيرات تتداخل في بنائه العام، بحيث لا يجرى الكلام على عواهنه، وإنما توضع له العلل والأسباب التي تجعل منه عملاً مترابطاً محكماً شدّت أجزاؤه بعضها إلى بعض شداً وثيقاً، كما يسهل معرفة رأى كل على حده.

٣- البعد عن سلطان الهوى :

إذا اختار الباحث - على سبيل المثال - شخصية أديب محببة إلى قلبه ليبين الميزة البلاغية التي تتميز بها تلك الشخصية، فإن الهوى يلعب بعاطفته فيبتعد عن الحقيقة المنشودة، ويتجاهلها ويتناسى رسالته في الدقة والاعتدال في الحكم، فيغمض عينه عن المساوئ، فيجسم المحاسن غير آبه بنهاية بحثه المحتومة، ولا يخفى ذلك على الباحث في البلاغة، فمثلاً :

(١) انظر البحث الأدبي ص ٥٦،٥٥ بنصرف

يقول نوري شاكر :

"فقدامة بن جعفر ناقد النثر، لم يُعد بين الناقدين الموثوق بهم لإسرافه في الجري وراء عواطفه في أحكامه وتغلب الهوى عليه.

وهذا دعبل الخزاعي ممن تحامل على أبي تمام حيث يقول : "إن ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح".^(١)

هذا وإذا كان التأثير الشخصي أمراً لا مفر منه في دراسة الموضوع ونقده فإن المعرفة الموضوعية ضرورية في هذا المجال لأنها تحد من ذلك التأثير وتراجع وتفسره لصالحها.

والحقيقة التي ينبغي مراعاتها هي أنه ليست هناك مناهج تصلح لكل شيء، وإنما هناك مبادئ عامة وأصول فنية يكون منها الباحث المنهج المناسب لموضوعه حتى تتجه خطته اتجاهها سليماً رشيداً نحو غاية محددة ونتائج صحيحة.

وأضيف فأقول : إن الإنصاف والموضوعية يؤديان بالباحث إلى بعده عن الأهواء والأوهام، وعن الرغبة في التشهير بغيره، حتى ولو كان خصمه، ولا يلجأ إلى قلب الحقائق فإن قلبها رجوع عن الهدف الذي من أجله كان البحث، ولقد دعانا القرآن الكريم إلى انصاف خصومنا متى كان العدل في جانبهم فلا تتسينا الخصومة العدل، قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

(١) انظر البحث الأدبي ومنهجه ص ٣١

شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(١).

فينبغي أن يتجرد الباحث من كل عنصر يفسد بحثه، وحتى تكون استجابته للبحث استجابة صحيحة فيتمتع بموضوعه تمتعاً ينتج عنه ثمرة طيبة لبعده عن الهوى الذي يضل صاحبه ويضعف شأن بحث ولا يمنع ذلك من أن يتحمس الباحث لموضوعه، لكن عليه أن يبين مواطن الضعف إلى جانب مواطن القوة حتى يتكامل بحثه باعداً نفسه عن سلطان الهوى بالتحيز الأعمى وعدم إنصاف الحقائق.

٤ - القدرة على التحليل والتذوق :

تنشأ ملكة الباحث في القدرة على التحليل والتذوق من طول انكبابه على قراءة الشعر وآثار القدماء والمحدثين من الأدباء، ولا بد أن تتكوّن عنده حاسة خفية تمكنه من تذوق النص تذوقاً سليماً حيث يشعر بأنه أثر فيه بروعته. ولشخصيته وما يمتزج فيها من المشاعر والأحاسيس والأهواء والعادات تأثير واضح، ومن أجل ذلك يدخل في تذوقه غير قليل من معتقداته وأخلاقه وأفكاره، ويعلل الباحث هذه الأحاسيس، وينتقل من التذوق إلى العلل والأسباب انتقلاً يحل في تضاعيفه أفكار البحث وأثره تحليلاً يوضح عناصر جماله ومدى تأثيره في النفوس وذلك عن طريق الصور البلاغية من معان وبيان وبديع، وإذا كان التذوق هو الأساس الذي يقوم عليه البحث البلاغي، فإن التحليل هو البناء كله، أو ينبغي أن يكون كذلك.

(١) المائدة ٨

هذا وإن كان موضوع البحث البلاغى يتناول سمة بلاغية في عصر من العصور، أو يتناول قصيدة معينة في فن ما من الفنون الشعرية، أو تحليلاً لعمل أديب، فينبغى أن يحلل العمل الأدبى إلى العناصر التى يتكون منها حتى تكون الرؤية واضحة، والمعرفة دقيقة، فعلى سبيل المثال : شعر زهير بن أبى سلمى في العصر الجاهلى يُردّ إلى التصوير ومدى العناية به، والتصوير يحل بمعرفة الجزئيات والتفاصيل المكونة لشعره من استخدام العبارات الدالة على المعنى المطلوب إلى جانب فصاحتها وبلاغتها، ومدى جودة الصور البلاغية عن طريق التشخيص والتجسيم بالحركة واللون والصوت، ويتأتى ذلك باستخدام الصورة البيانية إلى جانب الألوان البلاغية المختلفة. وإذا أردنا أن نبين بلاغة أبى تمام، فسنرى عنده ألوان الجنس والطباق والمشكلة والتصوير ممتزجة بحيث يتسم اللون بألوان أخرى تطوقه أو تعانقه، أو تقع في ذروته، وكأنما تتبدل هيئة اللون بما يمازجه من ألوان أخرى، ويحلل التصوير عنده، فإذا منه تدبيج وتجسيم وتشخيص، وصور خيالية مبتكرة لا تكاد تحصى.

وإلى جانب ما سبق ينبغى تحليل شخصية الأديب من خلال عمله، بحيث ترد إلى المؤثرات الداخلية، والخارجة عنه، وبعبارة أخرى، العناصر التى تحتوى حياته وآثاره وبيئته وعصره، إذ هو ثمرة الظروف الكثيرة المتشابكة التى يعيشها وكونت شخصيته وثقافته، فمنها ما يرجع إلى ظروف مجتمعه ومنها ما يرجع إلى ظروف أسرته الاقتصادية وظروف تربيته والمؤثرات الذاتية والثقافية التى ساعدت

على تكوينه، وعقيدته، وما فيه من فضائل ونقائص في حياته وعلاقاته بالناس من حوله، وأيضاً فقد لإحدى حواسه - كحاسة البصر مثلاً - إن كان فقدتها، وكل ذلك بالإضافة إلى آثاره الأدبية التي تبين ملامح الشخصية، وطريقة أدائه هي موضع الموازنة والمفاضلة بينه وبين غيره، ومعرفة حسن نظمته وصحته وبلاغة عباراته وعمق خيالاته المشخصة بالاستعارات والتشبيهات ومختلف الكنايات والألوان البديعة التي أثرت في ألفاظه ومعانيه.

ومن المهم بمكان أن يلاحظ الباحث ما قد يكون قد ألم بالأديب أو رافقه من أمراض، فإن ذلك قد يكون له أثر بعيد في تحليل بعض الاتجاهات عنده أو بعض الظواهر، فلنأخذ مثلاً يوضح كيف يحلل الباحث شخصية الجاحظ، ويبين منه ما تميز به أسلوبه نتيجة ظروفه المرضية، فقد عاش مريضاً بالفالج نحو ثلاثين عاماً، ألف فيها أشهر كتبه وهي الحيوان، البيان والتبيين، والبخلاء، وغير رسالة من رسائله الكثيرة. ولا شك في أن المرض الذي أصاب الجاحظ هو السر في كثرة الاستطرادات في كتاباته، إذ هو لا يستقر عند موضوع يعرضه، فكثير عنده الخلل في الكلام، وكثير تقطيع نظامه، وكثير اضطراب نسقه وسياقه، واضطره المرض أيضاً ألا يكتب بنفسه، وأن يملأ على غيره، فكان للإملاء أثر على كتاباته طبعها بطابع المحاضرة وكتب الإملاءات من حيث الإيجاز الشديد في بعض المواطن والإطناب أحياناً دون داع، وأيضاً كان حين يملأ كلامه يسمع نفسه فيحاول أن يرضى سمعه وسمّع من يملأ عليه، مما جعله يعنى باختيار ألفاظه وجرس كلماته،

حتى يلذ اللسان كما تلذ الأسماع، وهذا سبب تموج أساليبه بالازدواج الصوتي حتى تقع من نفس السامع موقعاً حسناً. وللإملاء عنده طابع آخر هو طابع التكرار والترداد حتى يستوفي ما يريد من الأداء الموسيقي البديع.

وتتميز كتابات الجاحظ بالواقعية، وهي تتضح في عرضه الحقائق عارية دون أى حجاب يسترها، ونقله مجتمع عصره بكل ما فيه من طهر وإثم ودين وإلحاد، وكل من فيه من طبقات عليا ووسطى ودنيا، وحكايته كلام العامة بما فيه من لحن وخطأ دون أن يصلح فيه أو يصحح أو ينقح شيئاً، وحلو عباراته من التشبيهات والاستعارات إلا ما جاء عفو الخاطر، وخلو كتاباته أيضاً من المبالغات.^(١)

هذا وإذا كان الأدب هو كل النصوص الأدبية التي يصور بها الأديب مظاهر الحياة وخواطر النفس بأسلوب جميل يهز المشاعر، ويأسر القلوب، فالنقد هو دراسة هذه النصوص وبيان ما فيها من حسن وقبح وتقليد وابتكار، ويأتى التاريخ الأدبي فيقوم تلك النصوص ويرتبها تبعاً لما بينها من صلات في الموضوع والصياغة، وعلى ضوء تسلسل تلك الصياغات يضع تاريخ التيارات العقلية والأخلاقية، وبملاحظة وجود الشبه بين بعض الألوان وبعض المناحي الفنية المتشابهة في النصوص التي من نوع أدبي واحد ومن تأليف أدباء مختلفين يضع تاريخ عصور الذوق.

(١) انظر : البحث الأدبي ص ٧٠ : ٧٢ بتصرف

أما البلاغة فإنها مع الأديب في أثناء نتاجه الأدبي في الأغراض المختلفة، إنها هي التي ترشده وتهديه إلى الطريق الصواب حتى يؤلف كلاماً بليغاً يثير لدى القارئ أو السامع مشاعر الإعجاب والسرور، والبلاغة تأخذ بيده وترشده إلى الإنشاء البليغ وإلى الطرق والوسائل المختلفة لتأليف الكلام الفنى الجميل، فهي مقدمة الوظيفة على النقد الأدبي الذى يفترض أن الكلام قد تم إنشاؤه وانتهى منه صاحبه، ثم يعرض علينا مقاييسه للحكم للأديب أو عليه، فهو يعنى بدراسة النصوص وبمحاسبة الأديب بعد أن ترشده علوم البلاغة إلى طريق الأداء وحسن التعبير المتميز القادر على الإقناع والتأثير، وهذا ما يجب أن يراعيه الباحث المتذوق الذى يحلل بحثه تحليلًا بلاغيًا.

٥- الحذر من آراء الآخرين :

حينما تقع بين يدي الباحث مخطوطات أو تأليف، ثم يرى - دون دراسة وتدقيق فيركن إلى ما تضمنته شيئاً جديداً، ويعتمد عليه، فهذا ليس بالصواب الكامل، لأننا لسنا ملزمين بما جاء به الأقدمون أو غيرهم، خاصة إن كان فيه ريبة، ومع ذلك يحكمنا التثبت من آراء غيرنا، والفهم غير المنافى للمنطق والأحداث وصدق الرواية وأمانة المؤلف، وهذا هو الإلزام بل والإلتزام، لأننا نفيد كثيراً من آراء غيرنا ونلم بما سبقونا إليه من تجارب نستطيع أن نرتب عليها ما نصل إليه، وترشدنا إلى جديد نضيفه إلى البحث، فتظهر شخصية الباحث واتجاهاته التى تتمشى مع عقيدته وتراثه، وهذا يظهر بوضوح عند البحث البلاغى في الإنتاج الأدبي لأحد الأدباء أو الشعراء.

وتطبيقاً لهذا فلقد جاء في كتاب مقدمة شرح نهج البلاغة قول لسيدنا على كرم الله وجهه: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً".

ثم يقول المؤلف تعليقاً على هذا القول : "وقد عرفت أن ذلك اشارة إلى أن الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل، وذلك يستلزم تحقق الوصول التام الذى ليس في قوة الأنبياء نيله."^(١)

فمؤلف الكتاب أبو ميثم البحراني^(٢) رجل متشيع وصلت درجة حبه لسيدنا على - رضى الله عنه - أن أعطاه درجة أكبر من درجات الأنبياء.

وربما أراد المؤلف المبالغة في اظهار معرفة سيدنا على بالله فأعطاه درجة عالية تصل به إلى حدّ التفوق على الأنبياء، ولكن هذا مردود، ومن أجل ذلك يجب أن نقف حذرين من مثل هذه الآراء خاصة إذا لمست أمراً من أمور ديننا الحنيف.

حين تقع بين يدى الباحث آراء أو أساليب لم يألفها من قراءاته وثقافته فإنه يجب أن يكون حذراً فى القبول أو الرفض؛ لأن المفروض فى البحث أن أقول إن رأى غيرى صواب يحتمل الخطأ، ورأى صواب يحتمل الخطأ، ثم أسير بعد الاقتناع بهذا الغرض فى طريق البحث لكى أصل إلى رأى فيما عرض أمام عينيّ

وأضرب لذلك مثلاً محدداً ودقيقاً، يقودنا إلى البحث الصحيح والحكم الصائب، فقد حفظنا جميعاً فى أثناء دراستنا بيت الفرزدق :

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

(١) انظر : مقدمة شرح نهج البلاغة للإمام العلامة كمال الدين ميثم البحراني "من البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على" ص ٢٠٤ تقديم وتحقيق د / عبد القادر حسين ط ١ دار الشروق ١٩٨٧ م.
(٢) أبو ميثم البحراني عالم بالأدب والكلام من فقهاء الإمامية من أهل البحرين ومن مصنعاته : ما نحن بصدد، القواعد في علم الكلام، شرح المئة كلمة المنسوبة لعلى بن أبى طالب كرم الله وجه. انظر : الأعلام للزركلى ٢٩٣/٨ ط ٢، أصول البلاغة لابي ميثم البحراني تحقيق الدكتور / عبد القادر حسين ط دار الشروق.

ينصب كلمة "مملكا" وجاء كذلك فى جميع الكتب التى تحدثت عن التعقيد فى الأسلوب، ولكن يأتينا ابن شرف المتوفى فى القرن السادس الهجرى فيروى البيت هكذا^(١):

وما مثله فى الناس إلا مملك أبو أمه حى أبوه يقاربه

وأثبت محقق الكتاب المصادر التى ذكرت البيت بنصب "مملكا" ثم أثبت أن رواية الرفع هى الصحيحة؛ وذلك لأن الفرزدق تميمى، وهم لا يعملون "ما" عمل "ليس"، ومن هنا فإن رواية النصب تكون من عمل الرواة التى كانوا يتعصبون لمذهب البصريين.

فلو أن المحقق حكم محفوظه، وما تعود عليه لكان قد ذكر الكلمة بالنصب على حسب دراساته السابقة، ولكنه توقف أمام الكلمة، وأوصلته معرفته بتميمية الفرزدق إلى رأى الصواب.

كذلك جاء فى ذات الكتاب لابن شرف بيت لزهير حفظناه، وحفظنا ما قاله السابقون عن إعجابهم به، وتمجيدهم لفكرته، وهذا البيت هو^(٢):

على مكثريهم حق من يعتربهم وعند المقلين الساحة والبدل

فقد أجمع القدماء على أن هذا البيت يمثل أفضل أنواع المدح، لأن الشاعر مدح الأغنياء والفقراء بالكرم، وأخذ اللاحقون يرددون كلام السابقين حتى جاء ابن شرف فقال كلاماً جيداً أقنطف منه قوله :

(١) مسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى تحقيق الدكتور النبوى شعلان ص ١٨٨ ط ١ مطبعة المدنى ١٩٨٢م.

(٢) المرجع السابق ١٨١ - ١٨٤.

فأول ما ذمهم به إخباره أن فيهم مكثرين ومقلين، فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم حتى يستووا في الحال" ثم يقول :

"ففى هذا القسم الأول عيوب على المكثرين : منها أنهم ضيعوا القريب، ورعوا حق الغريب، وصلة الرحم أولى ما يبدأ به، ومن مكارم العرب حنينها لذوى أنسابها، وذبها عن أحسابها، الأقرب فالأقرب، وما فضل عن ذلك فلأبعد.

ثم أخبر أن المكثرين ليس يسمحون بأكثر من الاستحقاق فى قوله:

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن أعطى الحق فإنما أنصف، ولم يتفضل بما وراء الإنصاف، والزيادة على الإنصاف أمدح، ثم أخبر فى البيت أن المقلين على قصور أيديهم أكرم طباعاً من مكثريهم على قدرتهم فى قوله :

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الإقلال مدح عظيم وإيثار

هذا بالنسبة للبحث فى البلاغة، وقد تعلمنا أن نكون حذرين ونحن نقرأ بلاغة القرآن الكريم فى تفسير الزمخشري، وذلك لأن الرجل يصب فى تفسيره آراءه الاعتزالية، كما تعلمنا أيضاً أن نكون حذرين إذا قرأنا مثل ذلك فى كتاب لأحد الشيعة، ومن هنا وجب على الأستاذ دائماً أن يضع طالب البحث الذى يكون فى أول الطريق على طريق الجادة، وأن ينبهه إلى مواطن الزلق، فإن لم يفعل كان مقصراً.

٦- الجدة والابتكار والأصالة :

لابد لكل بحث أن يوفق إلى الجديد من الآراء أو النتائج التي يجب أن يتوصل إليها الباحث، وإلا أصبح بحثه معاداً مكرراً، وإذا أخذنا مثلاً على ذلك فإن بعض الباحثين يتهياً لهم أن البحث في القرآن الكريم لا يصل الباحث فيه إلى جديد نظراً لكثرة ما جاء حول القرآن الكريم من بحوث مختلفة، إلا أنهم نسوا أن القرآن الكريم كتاب لا تقتضى عجائبه إلى يوم الدين، ومن أراد أن ينهل من معينه ويعيش على مائدته فإن الله يوفقه إلى خير زاد يعيش به في دنياه ويدخره لأخراه، فيلجأ الباحث إلى فهم معاني القرآن الكريم ويحاول بيان ما فيه من بلاغة تؤكد أنه المرتبة العليا من البلاغة، وفي هذا تقويض لأفكار كثير من المستشرقين المغرضين، وبيان لما في القرآن الكريم من أسرار الإيمان به والعمل بأحكامه والحرص على ملازمته منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الآن وإلى يوم يبعثون، وتأكيد استمرارية المؤمن لمعايشته وحب تلاوته لتأثيره في النفوس وغزارة ما فيه من إعجاز إيماني وعلمي ولغوي وبالوصول إلى تلك الجزئيات يتحقق على يد الباحث نتائج بقدر ما أعطاه الله من فتوحات ربانية وموهبة لغوية، وقدرة في المثابرة على البحث، والاستقراء الطويل وسعة الاطلاع ودقة التأمل في معنى اللغة، فيصل الباحث إلى بحث له أصالته ومكانته في القلوب والعقول، وليؤدى رسالته على الوجه الأكمل.

وليس الابتكار في البحوث مقصوراً على كشف أشياء جديدة فقط، وإنما الترتيب للمادة ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتمام إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوين موضوع منظم من مادة متناثرة - يعتبر ابتكاراً.

٧- تأثير البحث في الفكر والمجتمع :

البحث الجيد هو الذى يعالج ناحية فكرية بوضوح وسلسلة، وسلامة قصد، ومن ثم يشير إلى مواطن الضعف والقوة، وأن يعالج ناحية اجتماعية مهمة، وأن يضم بين طياته روحاً عالية تأخذ بالفكر والمجتمع إلى النهوض، ولا تكون معاول هدم، ويمكن للباحث أن يستعرض آثار الباحثين الذين أَلَمُوا ببعض القضايا، أو أَلَمُوا إليها بإشارات أو تنبيهات بين ثنايا بحوثهم، ومن ثم فعلى الباحث أن يبدى رأيه صريحاً مدعماً بالحجج والبراهين الواضحة غير المتأثرة بهوى لا دليل معه فيه، ويقطع برأيه الذى يراه بما يتسلح به من معلومات لغوية وبلاغية، وعلى سبيل ذلك إذا أراد الباحث أن يتناول إنتاج شاعر ليبرز بلاغته، فعليه أن يراعى أثر فكر هذا الشاعر وتأثيره في المجتمع بأفكاره التى تناولها في شعره، وكان لها أثرها على مجتمعه حيث يثير عاطفة معينة في شعره، ويبرزها قوة ومؤثرة بفضل ما فيها من جمال الأداء، وحسن التصوير البلاغى، وتطبيقاً لذلك فقد افتخر أمير الشعراء أحمد شوقى بنفسه فقال :

نحن اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهراً ولم يهن بيد التشيت غالينا^(١)
فجعل نفسه ياقوتاً، والمحن والشدائد نيراناً، ولكنها لم تؤثر فيه، ولم تنل منه شيئاً مما يدل على صلابته، وأصالة معدنه، تلك كانت نيران أحداث عظام تهد الجبال، حيث أراد خصومه النيل منه أسوأ نيل، ولكن من كان يملك مثل قلبه واحساسه وشاعريته يصعب هدمه، وإن تكاثرت المعاول وكثرت سواعد الهادمين.

(١) الشوقيات لأحمد شوقى ١٣١/٢ شركة فن الطباعة ١٩٤٨م المطبعة التجارية الكبرى —
والقصيدة بعنوان [أندلسية] نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز مصرنا الغالية
ويصف كثيراً من مشاهد ومعاهد.

ومن يقرأ هذا فإنه يتأثر ؛ لأن الناس يمرون بمصاعب الحياة المتباينة ويتعرضون للشدائد مما يجعلهم يتعاشون في المعنى ويشاركون الشاعر في أحاسيسه وتجربته الشعورية. ومن فخره بأمجاد المصريين قوله الذي يلهب حماس قارئه لحب وطنه:

ولم يضع حجراً بان على حجر في الأرض إلا على آثار بانيينا^(١)
وللقارئ أن يتأمل روعة خياله الباعث على تعظيم المصريين مستمداً ذلك من التشبيه والاستعارة المكنية التي جسمت وشخصت قوة البنيان وذلك في قوله :

كان أهرام مصر حائطاً نهضت به يد الدهر لا بنيان فانيينا^(٢)
وفي قوله :

كانها ورمالاً حولها التطمت سفينة غرقت إلا أساطينا^(٣)
فالشاعر يرسم صورة بديعة بيد فنان قادر على إبراز جزئيات الصورة بريشة ماهرة، حيث الأهرام تسبح في بحر الرمال التي ترتطم بسفن غيرها فتغرق جميعاً إلا أهرامنا - نحن المصريين - التي هي أساطين قوية عملاقة لا تؤثر فيها أمواج بحر الرمال، ذلك هو شوقي، وتلك بعض من ومضات أفكاره السديدة التي دافع عنها بتصوير ذكي نبع من عاطفة قوية، وأداها أحسن أداء بلغة شعرية تستمد مقوماتها من

(١) الشوقيات ١٣١/٢

(٢) الشوقيات ١٣٢/٢ ، والشاعر : شبه أهرام مصر بحائط شديد الصلابة بناء الزمن العريق، والاستعارة المكنية في قوله يد الدهر، حيث شبه الدهر بانسان وحذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه وهي اليد التي تبنى وتدل على القوة والقدرة.

(٣) الشوقيات ١٣٢/٢

الطبيعة التي صورها الشاعر بطريق التشبيه والاستعارة وله أعماق الأثر في أفكار مجتمعه.

إن كل أمة تعيش حياة حضارية تريد أن تحافظ على تراثها وتبعثه بين الأجيال، وتوجه ناشئها نحو هدف سام، ولا بد أن تسير وراء أهدافها، فلتتزم بتشديد صرح الحضارة بامتزاج الماضي بالحاضر، وتنمية الأفكار البانية المشيدة لصرح النهضة العلمية بالأفكار الجديدة الناهضة بالمجتمع ولغته، والحديث عن ذلك يكون له أكثر الأثر في أفكار الناشئين فتتركز لديهم فكرة حب أمجادهم القديمة، ويدركون قيمة أوطانهم العريقة.

٨- الوضوح :

إن عمق فكرة البحث وجودة توضيحها عن طريق أسلوب جيد الصياغة سهل التعبير هو هدف الباحث؛ بحيث يشرح الفكرة شرحاً وافياً بدون استطراد مبتعداً عن الإبهام، ويجعل القارئ منشوقاً لقراءة البحث، ويشده ذلك إلى هدف الباحث بدون إكراه أو ملل، وما يحفز الباحث على ذلك، المادة الشيقة التي تخضع للعقل والمنطق والعاطفة وتعرضها بكلمات منتقاه متجانسة وملائمة للمعنى بحيث تختلف قوة ورقة حسب مواقع استعمالها، فلكل مقام مقال، ويراعى الباحث الصور المتلاحقة الآتية - في أثناء تعبيراته - عفو الخاطر دون تكلف ولا تعقيد، فيكون الكلام أخذاً، له جرس يشد انتباه القارئ ويشوقه لاستمرار القراءة.

٩- اختيار الموضوع :

اختيار الباحث لموضوعه يوجد له ألفة ورغبة في الكتابة فيه، ولتحديد الموضوع أهمية قصوى في العمل على إنجاح البحث، وإن كان للمشرف على البحث مهمة كبرى، حيث يوجه الباحث إلى موضوع يخدم عقيدته وثبتها ولا يتنافى معها، ويكون له تأثيره في أفكار مجتمعه.

ويهتم الباحث إلى موضوعه من خلال قراءاته في كتب السابقين والمتقدمين عليه، وبعد إطالة النظر والبحث فيها يستبين له ما يتفق وميوله، فاختيار الموضوع ليس بالأمر الهين، فعليه أن تتلائم اللغة التي يختار بها بحثه، والوقت الكافي لإعداده، فلا يقارن مثلاً بين بلاغة شاعرين أحدهما عربي والآخر أجنبي دون أن يجيد اللغة الأجنبية، ويكتفى بما كتب عن الأجنبي في بعض المقالات القليلة ؛ لأن في هذا ضعفاً في المراجع والمصادر يؤدي إلى خطأ في إصدار الأحكام وقلة الاستقراء ودقة التأمل في الإنتاج الأدبي، والتي لا تؤدي إلى معرفة الأفكار الجديدة الجيدة التي تثري البحث، ومن نتائج هذا أيضاً الخضوع لتيارات الأفكار التي لا يعرفها القارئ نظراً للضغوط والأهواء التي لا يجيد فهمها لضعف لغته، فالمصادر من أهم مقومات البحث فعليها الاعتماد حيث يستقى الباحث منها مادته، وإن لم تكن متوافرة ضاع جهد الباحث وقصر عن المطلوب منه، وعلى الباحث ألا يتخير الموضوعات المتشابهة والواسعة الأطراف، لئلا يخفق فيها، ولا ينجز ما يتطلبه البحث، وليأخذ الباحث جزءاً من موضوع وليكن علماً من أعلام العصور المختلفة وإنتاجه الأدبي الذي أبدع فيه وتفوق فيأخذ فناً

من فنون شعره أو نثره - مثلاً - ويبين بلاغته في هذا الفن، وكيف تفوق على نظيره وعلى سبيل المثال :

فن المديح عند الشاعر أحمد شوقي وكيف مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوازن بينه وبين الشاعر البوصيري في مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكون الموازنة عاملاً جيداً للتذوق البلاغي بين قصائد الشعراء في فن المديح، ومحاولة فهم اتجاهاتهما الشعرية مما يوصل الباحث إلى نتائج كثيرة وأفكار جديدة تتضح من التعمق في فهم قصائدهما، فيثري البحث أكثر مما لو كان الحديث عاماً، فتحديد مجال البحث للباحث يجعله قادراً على التعرف على جوانبه، ويتفاعل مع أفكاره وأحداثه، فيتفرد بالابتكار والجدة، وتظهر شخصيته في بحثه.

وتعتبر مرحلة اختيار الموضوع هي الأساس، ومن الضرر للباحث التعجل والإسراع فيها؛ فربما حدث تغيير للموضوع بعد البدء فيه، فيؤدي إلى ملل الباحث ويأسه الذي يعتبر أخطر آفة على الباحث.

١٠ - شخصية الباحث :

البحث يدل على ملكة صاحبه العقلية واللغوية، وعلى ثقافة الباحث وتجاربه وذكائه وقوة بصيرته، ومن خلاله تتضح قدرته في الصبر والمثابرة، وتظهر إرادته القوية وعزيمته الثابتة وجرأته وصراحته في ابداء آرائه، وتظهر شخصيته في سعة اطلاعه، وتتبع المعلومات والأخبار حسب الموضوع المختار، وتظهر قوة حافظته في ربطه بين أجزاء الموضوع الذي قرأه في أوقات مختلفة، وتصميمه

على الوصول إلى هدفه المنشود بدون يأس لرفض المشرف - على البحث - لفكرة استساغها، وقد تُغيّر جزئيات البحث وتعاد كتابته، فعليه ألا يضعف، ويصيبه الشك في قدرته على تكرار المحاولة، حتى يتثبت من كل ما قرأ وتوصل من أحكام. ومن الأمور التي تظهر شخصية الباحث في بحثه وتدل عليه هي تجنبه للخطأ اللغوي والنحوي والصرفي، حتى تكون لغة البحث سليمة وفصيحة، وأن يكون ملماً بالقواعد البلاغية، ويتقنها إتقاناً جيداً حتى يصل إلى درجة التذوق المراد من البحث البلاغي المطلوب.

وتتضح شخصية الباحث أيضاً من خلال اختياره للموضوع، وأيضاً في عدم انقياده لغيره من أفكار الباحثين السابقين له دون مناقشة أو دراسة دقيقة وافية.

ولنأخذ مثلاً لأستاذين في عصرنا الحديث تناولا موضوعاً واحداً هو تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وتطورها، ولكنهما قد عالجا الموضوع بطريقة مختلفة تتم عن شخصية كل باحث منهما، ولكنهما في النهاية يصبان في معين واحد، يقول أولهما في مقدمة كتابه : (١)

"وعلم البلاغة إذا وعها المسلم سار في طريق الإيمان حيث تبرز له عناصر الإعجاز القرآني من جهة ما خص الله به القرآن الكريم من حسن التأليف، وبراعة التركيب وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الجلاوة، وجلله من رونق

(١) تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ص ٤٥، ط ١ ١٩٧٨ م دار الطباعة المحمدية.

الطلاوة، مع سهولة الكلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها فيزداد إيماناً بأن القرآن من عند الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغ عن ربه وتقرباً إلى الله جل وعلا، ثم خدمة للغتنا العربية لغة القرآن الكريم، كتبت تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية ثوخت فيها السهولة والوضوح ووقفت مستأنياً أمام سر نشأة هذه العلوم ووضحت المناخ الذي نشأت فيه، وسرت مع أطوارها نشأة ونموً وازدهاراً وجموداً ثم نهوضاً وانتعاشاً.

وبيان أطوار نشأة البلاغة عامل قوى في تجديدها إذ تضع ماضينا البلاغي بكل ما فيه من تجارب ماثلاً أمام مكتسبات حاضرننا ومعطياته ليكون تجديدها البلاغي المعاصر قائماً على دعائم قوية ومتفقاً مع روح العصر الذي نعيش فيه.

ويقول الآخر في مقدمة كتابه: (١)

"هذا كتاب موجز عن تاريخ البلاغة منذ أن نشأت وشقت طريقها نحو النمو والازدهار إلى أن أصبحت علماً له قواعده وضوابطه وأحكامه وقوانينه.

وقد كان لزاماً علينا أن نعرض في جملة التطور لقضية الإعجاز القرآني، وما أثارته من دراسات بلاغية كان لها أعظم الأثر في تناول الآيات القرآنية، واستنباط القوانين الجمالية، مما دفع بالبلاغة وقوانينها أشواطاً بعيدة نحو النضج والترقي.

(١) المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبد القادر حسين ص ٦٥ ط ١ ١٩٨٢ دار الشروق.

ومن خلال هذا التاريخ نرى طوائف متعددة أسهمت في صنع تاريخ البلاغة فكان لكل طائفة اتجاهها المعين، ومشربها الخاص، ولم تكن هذه الاتجاهات متضاربة، متنافرة بقدر ما كانت متضافرة متأخية، تسير في قنوات مختلفة، ولكنها في النهاية تصب في مجرى واحد، هو محاولة وضع القواعد البلاغية على أسس واضحة نهتدى بها في الحكم على النص الأدبي.

هذه الطوائف المتعددة تبلورت في مدرستين كبيرتين هما :

المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية، ولكل مدرسة منهما خصائصها المميزة، ومنهاجها المنفرد، وإن كان بعض أعلام البلاغة قد مزج بين خصائص المدرستين في تناوله للقضايا البلاغية، فكان أقرب مدخلاً وأجدى نفعاً من التطرف إلى هذه المدرسة أو تلك.

وقد تكونت من هذه الجهود المشتركة ما يمكن أن نطلق عليه تاريخ علم البلاغة، الذي تتبنا خطاه في صبر وأناة لنلم بأطرافه كافة دون أن تقلت منا مرحلة من مراحل التطور أو ينأى عن علم من الأعلام الذين كان لهم شأن في صنع هذا التاريخ.

لقد تخيرت من مقدمة كتاب كل باحث منهما ما يدل على تميز شخصيته، والمقدمة تنطق بذلك التميز الذي يظهر عياناً للقارئ، بل إنه يجد من نفسه شغفاً لأن يطلع على الكتابين برغم اتحاد الموضوع إلا أن سبلهما تتميز بالبحث الجاد والمعلومات الكثيرة التي تدل على سعة الاطلاع وكثرة التأمل ودقة التفسير لظواهر الأمور، والإدلاء بالآراء الشخصية واضحة في تضاعيف الكتابين، ويتسم أسلوبهما بالوضوح .

والسلاسة مما يسهل على القارئ فهم الموضوع والوصول إلى الهدف في يسر وسهولة.

هذا ولقد كانت خاتمة كتاب الأول ذات توصية توضح اهتمامه بنتائج الكتاب الذى يأمل أن يتحقق وهى رغبته في تشجيع التأليف البلاغى الذى يسير على منهج الشيخ عبد القاهر الجرجاني والمخشرى، ويسهم إسهاماً قوياً في إبراز عناصر الجمال في الأدب العربى بعامة.

أما ما جاء في نهايات كتاب المؤلف الثانى حينما تحدث عن الطوفى البغدادي فقد ذكر في تعقيبه على علم البيان عنده، أن الطوفى البغدادي ذكر من أنواع علم البيان المعنوية تسعة وعشرين نوعاً، ولم يعرض لها جميعاً، فما تركه تركه لأنه لا يتعلق بالقرآن وبيانه وبلاغته مما لا يحتاج إليه من يتعرض لتفسير القرآن الكريم، وختم المؤلف كتابه بالحديث عن شهاب الدين محمود الحلبي، الذى أوجز إيجازاً شديداً في حديثه عن البلاغة وعلمى المعانى والبيان ليبين لنفسه مجالاً للتوسع في علم البديع، فقد توسع فيه توسعاً شديداً حتى إنه طغى على الكتاب كله فعرض ستة وثمانين فناً من فنونه المعروفة في عصره وقبل عصره، يعرض لكل نوع منها بالتعريف والشواهد المتعددة وشرحها في أسلوب تعليمى سهل بعيد عن التكلف والتعقيد متوخياً الفائدة للمتعلمين والناشئين.

والمؤلف بهذا يهتم بما يخدم القرآن الكريم من بلاغة تتضح من أسلوبه المعجز، ومحاولة توضيح ذلك عن طريق علم البيان، ويهتم

أيضاً بمن يرسون قواعد علم البلاغة لطالبي علمها، حتى يسهل عليهم تعلمها فتؤدى الغرض السابق ذكره من بيان بلاغة القرآن الكريم.

والمؤلف بهذا التلميح وتلك الإشارة البعيدة يفهم المدارس المتخصص، والمدقق في فهم كتابه ما سبق بيانه دون ذكر صريح في خاتمة لكتابه، وهذا ما يوضح اختلاف شخصية كل باحث.

وبطريقة جيدة تميزت فيها شخصية أستاذ آخر^(١) حيث لفت انتباهه أسئلة تدور في ذهن المشتغل بالبلاغة، وهى : متى نشأت الفنون البلاغية؟ وما الدوافع لنشأتها؟ وأى المصطلحات البلاغية كان أسبق في الظهور؟ ومن العلماء الذين كان لهم فضل السبق وفضل ابتكار هذه المصطلحات وتلك الموضوعات، التى ثبتت أصولها وتفرعت أغصانها ووضعت فيها المؤلفات؟ وبقراءة ذلك الكتاب - نشأة الفنون البلاغية - يضع القارئ يديه على الإجابة فيزول الشك ويثبت اليقين فيرى الفن البلاغى من مولده حتى استوى على سوقه، كما يرى العلماء الذين اتسموا بالذوق البلاغى الرفيع فوضعوا اللبنة الأولى في صرح هذه الفنون خالية من كل تعقيد، وخالية مما يشوب جمالها، مما كتب لهم الخلود، والكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب : هى علوم البلاغة المعانى، والبيان، والبديع، وكل باب يشتمل على فنونه البلاغية الأصيلة، مما يخدم باحث البلاغة خدمة جليلة، فيوفر جهداً كثيراً ووقتاً كبيراً.

ولقد رجع المؤلف في إثبات نشأة هذه الفنون البلاغية إلى أمهات الكتب العربية التى يجدها القارئ مثبتة في نهاية الكتاب، وفى هامش صفحاته.

(١) نشأة الفنون البلاغية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول - المقدمة - مطبعة لطفى ط ١٩٨٨ م.

ولا ننسى أن الدافع وراء كل ذلك هو الغاية العظمى التى اتجه من أجلها كل من اشتغل بالبلاغة وهى فهم إعجاز القرآن الكريم، فلا سبيل لفهم أساليبه الرفيعة إلا بطريق البلاغة، وشاعت الفكرة التى تبين إعجاز القرآن الكريم الذى لا يفهم إلا عن طريق علوم البلاغة، فحفزت هذه الفكرة الكثير من الباحثين، وكان من حسن حظ البلاغة أن المناقشة في الإعجاز، وفهم آيات العقائد قد روجت سوق البحث البلاغى، فظهرت الفنون البلاغية، ونشط لذلك المتكلمون وأخذوا يبحثون في بلاغة القرآن الكريم والتعرف على أساليبه، وكيف استدلوا بآياته على المنكرين أو المشككين وغذوا أفكارهم بالمعانى القرآنية التى تعد في ذروة البلاغة، فالهدف من دراسة البلاغة هو هدف دينى، ولهذا جعلت البلاغة أولى العلوم بالتعلم، وعكف الجميع على تبين ذلك مع فضل العلماء - قديما وحديثاً - في إيضاح ذلك على مختلف شخصياتهم وطرق أدائهم، وعلى مر العصور حيث تطورت الأفكار، واختلفت باختلاف الأزمان والاحداث.

وعلى جانب آخر تتضح شخصية الباحث كما رأينا في "أثر النحاة في البحث البلاغى"^(١) حيث يبين المؤلف نشأة البلاغة وتطورها حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، على أيدي النحاة ويجعلهم أصحاب الفضل الأول في ذلك، على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة ضمن مباحثهم النحوية، ثم أتيح لمن أعقبهم أن يصوغ من هذه النظرات العابرة قواعد بلاغية ذات صبغة علمية، وأسوق مثلاً على ذلك مما يشير إليه المؤلف، أنه رسخ في أذهان الباحثين عن نشأة

(١) انظر : أثر النحاة في البحث البلاغى للدكتور عبد القادر حسين - المقدمة - من ص ٣-٨ دار نهضة مصر القاهرة.

البلاغة وتطورها أن أبا عبيدة هو أول من تناول البلاغة بالحديث، ولعل الذى أغراهم بهذه المجازفة في القول مصنفه "مجاز القرآن" الذى يحمل عنواناً بلاغياً صرفاً، ومن ثم أغفل الباحثون الحديث عن الفترة التى سبقت أبا عبيدة، ولم يتناولوا بالبحث آراء الخليل البلاغية ولم يضمنوها أبحاثهم وكذلك سيبويه.

وهذا جديد طريف يبين شخصية المؤلف واتجاهه لزاوية جديدة في البحث، وموضوع الكتاب تأريخ للتقعيد البلاغى منذ طفولته من الجاهلية حتى نضجه في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مما عكس آثاره الباقية على العصور المتأخرة وعصرنا الحالى، هذا ولم يقف المؤلف عند حدود العرض، وإنما أراد أن يكون ذلك سبيلاً إلى الدراسة والتحليل، وربط بين الشخصيات بعضها وبعض ليسجل خطوات نشأة القواعد البلاغية وتدرجها عبر القرون باعتبار أن العلم أو الفن جهد إنسانى متصل.

ومما سبق من عرضى لطريقة المؤلفين السابقين لموضوع واحد في تاريخ نشأة البلاغة أستطيع أن أقول إن فكرتهم ظهرت واضحة، وكانت لديهم مقدرة ذكية على بسطها وإيضاحها وصياغتها بأسلوب علمى، فظهر المعنى بأجمل صورة للفظ، فوصل ذلك إلى العقل والقلب، مما يشعر القارئ بفائدة عادت عليه من قراءته لتلك الكتب، مع تنويع وتجديد في فكرة الموضوع الواحد الذى تناولوه بالبحث من جوانب مختلفة، ولكل قارئ أيضاً شخصيته المستقلة التى تفضل ما يحلوها من قراءة موضوعات مختلفة، أو موضوع واحد لكتاب مختلفين، فتسعد بأفكار الكاتب وتشعر بأهميتها.

١١- تنسيق مواد البحث مع عرضها وحسن أدائها :

بعد جمع الباحث لمادة بحثه ، يجب أن يرتبها وينسقها، ويضعها في فصول منظمة، بحيث لا يدخل حشواً، ولا يحشر كل ما جمعه من مادة لشعوره بالتعب والجهد الكبير الذى بذله في جمعها، لأن ذلك يجعل البحث مكتظاً، وفيه الكثير من الحشو المخل بالبلاغة، وعليه أن يوازن ويختار ما يُقَوِّمُ البحث، ويجعله سليماً بدون حشو أو تطويل، وأن يضع مادته التى اختارها في أبواب وفصول مترابطة، وكأن البحث حلقات في سلسلة منتظمة بحيث تصبح كل فكرة جزءاً من البناء المتكامل في موضوع البحث، ويجب أن يراعى الكلام الذى ينسج به بحثه، حيث لا يلقى عفواً، بل يراعى فصاحة الكلمة وخلوها مما يشوبها من عيوب الفصاحة، ويتعدى عن الغموض والخطأ اللغوى والغرابة والتعقيد المعنوى أو اللفظى، فحديثه عن البلاغة يجعله أولى الباحثين في مراعاة ذلك، ولا بد للباحث أن تتوفر له المقدرة على دقة عرض بحثه، فتكون للبحث مقدمته ثم التمهيد، ثم الموضوع، فالنتائج أو الخاتمة، وكل هذا يتسم بالوضوح، وعلى الباحث أن يتحرى الدقة في اختيار العناوين التى تتلائم معها الأفكار.

ومجمل القول أن البحث المتكامل هو الذى يستوعب فيه الباحث مادته، ويحيط بها وينسقها تنسيقاً جيداً وجديداً، مع مراعاة الأداء الجيد الذى يتم بمعرفة دلالات الألفاظ التى يجب أن يستعملها بدقة، مع سهولة في الأسلوب، وعذوبة في العبارات التى تؤدي إلى الأفكار، متوخياً الإفصاح والبيان، معرضاً عن التكلف والتعقيد، ولا بد للباحث من المقدرة على النقد والتذوق البلاغى مما يوجب عليه الاستيعاب الجيد لقواعد البلاغة والأحكام والأسس النقدية، هذا إلى جانب الملكات

الخصبة لذلك، ومما هو ضرورى في صياغة البحث وحسن أدائه عدم التكلف في الأسلوب، فلا يستخدم السجع إلا ما جاء عفواً، ولا يعتمد إيجاد الصور البيانية إلا بما ناسب الموضوع ويتحاشى ما يجره منها إلى أخيلة معقدة، وحتى لا تؤدي به إلى استخدام صور محفوظة تكون في غير موضعها فتصبح ممجوجة.

ومن أهم ما يميز الباحث عن غير مقدرته على جذب انتباه القارئ وتشويقه، بحيث يقبل على القراءة إقبالاً، ويساعده في ذلك براعة استهلال موضوعه، مع حسن تخلصه من فكرة إلى أخرى حتى ينتهى به المقام إلى حسن الانتهاء.

١٢ - عنوان الموضوع :

يتخير الباحث عنوان الموضوع الذى يسير فيه بحثاً عن جوانبه المضيئة وكنوزه الكثيرة، فيكون مشوقاً جذاباً، يشد اهتمام القارئ إليه لمحاولة معرفة الكثير عنه، فيسعى وراء الفكرة والدراسة التى أراد تقصيصها من خلال ذلك العنوان، وشموليته للموضوع، وجاذبيته تعمل على دوام وشهرة هذا العمل، وتبعده عن النسيان الذى قد يكون لبعض العناوين الضعيفة أو غير المشوقة.

١٣ - الخطّة :

هى ترتيب الباحث لأفكار موضوعه فى أبواب وفصول تشملها، وتظهر شخصية الباحث فيها، وهى تبرز شخصية الباحث، وتوضح الموضوع، ويلزم ترتيب موادها حسب أهميتها للموضوع، وتخضع أبوابها وفصولها فى تنظيمها لأساس سليم

وفكرة منظمة، وينبغي أن يجمع كل باب عدداً من الفصول، وكل فصل يقسم إلى أجزاء، ويستقل كل جزء بمادته العلمية حتى تتضح حدوده وتظهر معالمه، ويهتم بالرابط الذى يربط بين الأجزاء ومحتوياتها بأن يكون بيتاً واضحاً بحيث لا يشعر القارئ بانفصال جزء عن آخر وعدم ترابط بين الأفكار.

وليس هناك ما يمنع الباحث من التغيير والتبديل فى الخطة، والخطة المبتكرة تتطلب الجهد والمثابرة لأنها يجب أن تأتى مناسبة ومقبولة وصحيحة، فهى الأساس الذى يقوم عليه البحث وفيها يظهر علم الباحث وتركيزه وقوة بصيرته فى فهم موضوع البحث.

وإطالة البحث بإسراف قد يعرضه للفشل، وذلك لعدم التركيز والتنسيق، لكثرة التفاصيل التى لا تدعو إليها الحاجة، وهذا يتطلب من الباحث أن يتقيد بمقدمة وتمهيد، ثم عرض للأبواب الخاصة بالموضوع المدروس، فالخاتمة، وأخيراً المصادر والمراجع وبعد ذلك الفهارس.

وفى حديثه عن التمهيد، فإنه يختلف باختلاف الموضوعات، فإن كان حديثه مثلاً عن تبيان البلاغة فى شعر شاعر ما أو كاتب، فعليه أن يتحدث عن حياة ذلك الشاعر أو الأديب ويدرس الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية ليتبين أثر ذلك بوضوح على الموضوع؛ لأن الأديب يتأثر بالأجواء المحيطة به والبيئة التى أثرت فى شعره أو كتابته وصقلت مواهبه وانضجت عقله فشكّلت قلمه، ولكن على دارس البلاغة أن يأخذ ذلك بقدر، والأمثلة على ذلك كثيرة الآن فى المكتبة البلاغية حيث نهج الدارسون منهجاً تطبيقياً على المسائل

البلاغية فى دواوين الشعر مثل : التشبيه فى ديوان امرئ القيس^(١)، التشبيه فى ديوان الصنوبرى^(٢)، الصورة الفنية فى ديوان شوقى^(٣)، الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء^(٤) وغير ذلك كثير.

أما فى حديث الباحث عن أبواب الموضوع، فهى ترتب حسب ما يقتضيه تنسيق البحث، فالباب الأول ويليه الباب الثانى فالثالث وهكذا، وكل باب يضم فصلاً حسب ما تقتضيه جزئيات البحث، وكل فصل يعالج ناحية بذاتها إلى أن تتكامل جزئيات الموضوع حتى يصل إلى الخاتمة فيها تلخيص وبيان لما وصل إليه الباحث من جديد فى موضوعه.

١٤ - المصادر والمراجع :

للمصادر والمراجع أهمية قصوى فى اعداد موضوع الباحث، وأهمها المخطوطات ثم المطبوعات والمعاجم، ومما يساعد الباحث على اعدادها هو كثرة القراءة والاطلاع على ماله علاقة بالموضوع فى موسوعات وتآليف كبيرة ودوائر المعارف العالمية التى تناولت الموضوع، فيتعرف على الأشخاص والأماكن التى لها به صلة

(١) انظر : التشبيه فى ديوان امرئ القيس للدكتورة زينب عبد الجواد رزق رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بحامعة الأزهر.

(٢) انظر : التشبيه فى ديوان الصوبرى للدكتورة عائشة حسين فريد رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بحامعة الأزهر.

(٣) انظر : الصورة الفنية عند أحمد شوقى للدكتورة عزيزة الصيفى رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بحامعة الأزهر.

(٤) انظر : الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء للدكتورة عائشة حسين فريد رسالة دكتوراه فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بحامعة الأزهر.

والمراجع القديمة التي تزرع بها المكتبة العربية، ويستفيد الباحث أيضاً من الكتب الحديثة لمعرفة المراجع الأصلية التي يهتدى إليها الباحث نتيجة وقوفه على الحواشي والتذييلات والهوامش.

وقد يلجأ الباحث إلى من له خبرة بالموضوع ليرشده إلى تنظيم أمور سيره في البحث وليستفيد بخبرته، وليس هذا فقط بل إنه يطلع على فهارس المكتبات المختلفة؛ ليقف على المادة التي يبحث عنها ويريد تجميعها، ولا يقصر في الاطلاع على المعاجم اللغوية مثل : لسان العرب لابن منظور والمعجم الوسيط ومختار الصحاح، وكتب التراجم، وتعد المصادر والمراجع المنبع لما يثبت البحث ويدعمه، والمراجع تكون لعامة طالبي المعرفة، أما المصادر فهي للمتخصصين حيث يستقى منها المعلومات وبعض الأحكام للسابقين ومنها على سبيل المثال : شروح التلخيص، الطراز للعلوي، مفتاح العلوم للسكاكي، المطول على التلخيص، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وله أيضاً أسرار البلاغة، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، الإيضاح للخطيب القزويني وغير ذلك كثير.^(١)

ومن المصادر التي يعتمد عليها أيضاً، وفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، ومعاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وبيتمة الدهر للثعالبي، ومعجم الأدباء،

(١) انظر : الجزء الخاص بالكتب البلاغية في أى مكتبة عربية، والتي تحدثت عن أكثرها في هذا

ومعجم البلدان لياقوت الحموى، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة والأعلام للزركلى ... إلى غير ذلك من المصادر، ولكل مصدر أهميته من حيث معاصرته للشاعر أو الأديب أو العالم المبحوث عنه، ومن حيث الوثوق بمؤلفه فى سرده للأحداث وتحليله للنتاج، ومن حيث خلقه وسيرته واعتدال حكمه والأمانة التى تبعد عن الشطط فى الأحكام.

وعلى الباحث أن يطلع بفهم ودقة على قوائم بأسماء المصادر والمراجع، لينقل ما يستشهد به حرفياً دون تعليق ليصبح بإمكانه النقد وذلك للخروج بالحكم الصحيح حيث يدون رقم الجزء مع اسم الكتاب ومؤلفه والصفحة المنقول منها، ومكان وتاريخ طبعه، ويلاحظ أن بعض الكتب يُشار لبعض محتوياتها، وعنوان الفكرة التى أفاد منها الباحث، وذلك حسب ما يقتضيه الأمر، وإذا عرضت للباحث فكرة أو فائدة تخص فصلاً آخر فعليه ألا يتركها، بل يرجع ويؤشر عليها ويبادر إلى تدوينها فى مكانها؛ لئلا تضيع منه وتتقص الإفادة.

١٥ - مرحلة : تدوين المعلومات :

بعد جمع الباحث للمعلومات التى تتصل ببحثه اتصالاً وثيقاً يجب أن تكون قراءته واعية فيدرك الأخطاء المطبعية التى تشكل الفهم أحياناً، ويوازن أو يقارن، وينتقى أجود الثمار من الكتب التى قرأها ويسجلها باحدى الطريقتين الآتيتين :

أ - إعداد البطاقات :

يبدأ الباحث فى قراءة المصادر والمراجع التى لها صلة بموضوعه، فيأخذ كل ما يهم موضوعه، ويدون مادته فى بطاقات

بصورة منظمة، فكل بطاقة تختص بجزء من باب من أبواب البحث أو فصل من فصوله، وبعد الانتهاء من تلك المرحلة تبدأ مرحلة الفرز والتوزيع على الأبواب والفصول بدقة متناهية، ويكتب عليها عنوان الفصل أو الباب.

ب - طريقة الملفات (الدوسيه) :

ويمكن للباحث أن يستخدم طريقة أخرى تساعد على جمع المعلومات ومراجعتها، وهي تسجيل المعلومات في أوراق توضع في دوسيه خاص بكل باب، وبهذا يسهل على الباحث قيامه بكتابة موضوعه بعد أن توفرت المعلومات عنه.

ومن السهل على الباحث أن يعيد ترتيب أوراق الدوسيه، كما أنه من السهل أيضاً أن يستغنى عن بعضها أو أن يضيف إليها أوراقاً جديدة في أماكنها المناسبة.

١٦ - كتابة البحث :

إن مرحلة الكتابة على جانب كبير من الأهمية، وفيها مشقة بالغة، لأن الباحث يتحير ويتردد فيما جمع من معلومات أيها يكتب، أيها يترك؛ حيث يصعب كتابتها كلها في بحثه، ومما يزيد من حيرة الباحث كون بحثه مطروحاً من غيره في ناحية معينة، وهنا عليه أن يختار الطريف والمفيد، فيتبلور الموضوع أمام عينيه ويتضح، ولنتذكر مثلاً موضوع تاريخ نشأة البلاغة العربية التي تناولها الكثير من الباحثين وعرضوها عرضاً يختلف باختلاف شخصية عارضها^(١).

(١) انظر : شخصية الباحث رقم ١٠ من هذا البحث ص ٣٧.

وأثناء كتابة البحث يراعى الباحث النصوص التى نقلها، فله أن يدلى برأى فيها، على أن يكون مؤيداً بالحجج والبراهين التى لا وهن فيها ولا إبهام، وهو مسئول عن كل ما يدونه فى بحثه، فلا ينقل عن شخص مستسلاً لآرائه، دون أن يبرز شخصيته، مهما كانت مكانة الشخص العلمية - وذلك على أساس علمى سليم - ولكن بأدب وخلق؛ لأن الخلق الكريم والترفع عن الهجوم الدنى، والالتزام بذلك سياق قوى للبحث، يَصْدُ فيصد عن الباحث الطامعين، فيه فلا يغريهم به.

وعلى الباحث أن يعنى بدقة الاقتباس من المصادر الأصلية المؤتمنة، وبدقة النقل والتآلف بين المقتبس وما قبله من الكلام، شريطة ألا تطغى كثرة الاقتباس على شخصية الباحث، ويمكن له أن يقدم لكل باب أو فصل بمقدمة موجزة تستوعب أفكار الباب أو الفصل، ويجب أن يكون واضحاً فى عرض ما توصل إليه، ويتجنب الإيجاز المخل، ويحذر الحشو والتطويل، فهذا يفسد تماسك الموضوع ويذهب برونقه.

ومما هو جدير بالذكر الاهتمام بالقواعد اللغوية والإملائية، فلا يجمل به أن يقع فى أخطاء من هذا القبيل، ويستحسن الخط الجميل فى أسطر منظمة بينها فواصل لتسهيل القراءة، ويعتنى بتدوين كل فكرة فى فقرة جديدة ليكون ذلك تنبيهاً للقارئ، ويدل على أن كاتب البحث يتمتع بعقلية علمية ناضجة ومنظمة، وقد يستعين إذ ذاك بوضع سهم يشير إلى موضع الزيادة التى مثلت أمام عينيه أو يكتب على ورقة مستقلة وتوضع فى أسفل الورقة الرئيسية مع إشارة تدل على ذلك، أو يعتمد إلى كتابة الورقة كلها من جديد، فذلك خير من الهوامش الكثيرة.

ومما هو جدير بالذكر عليه أن يتخذ خطوات هامة في كتابته لبحثه وترتيبه وهي :

أ - الترقيم : وهذا ركن أساسي في تنظيم البحث وترتيبه، وتوضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة تبدأ برقم (١)، وتوضع في أسفل كل صفحة هوامشها، ويوضع رقم مسلسل متصل للبحث كله ويبدأ برقم (١) ويستمر إلى نهاية البحث، وأحياناً يبدأ الباحث برقم (١) إلى نهاية كل باب أو فصل على حدة، وهذا يتوقف على طبيعة أفكار أبواب بحثه، وهذا مهم، لما يتوقف عليه الفهم في بعض الأحيان، خاصة في عصرنا الحديث الذي تميز بالرغبة في سرعة الانتهاء من قراءة الكتاب أو البحث، والرغبة أيضاً في استقلالية الأفكار التي يحتويها البحث، وإن كانت متصلة بالموضوع إلا أنها تبرز جانباً مضيئاً يعتمد عليه القارئ في فهم ركن من أركان الموضوع، ويراعى في الهوامش أيضاً الإيضاحات التي قد ترد في صلب الرسالة لأنها غير أساسية فيها، وتوجيه الباحث للقارئ إلى مكان في المؤلف قد وضحت فيه نقطة ما، أو جاءت فيه تفاصيل عنها.

ب - الفهارس : أما الفهارس فهي دليل محتويات الموضوع الذي تخيره الباحث ودرسه إلى أن وصل إلى نتائج، وهي خاتمته، وسجل مصادره ومراجعته، ثم أتى بإثبات ذلك في فهرس يحتوي على رقم الصفحة والصفحات التي يحتويها الموضوع، والفهارس مختلفة الأنواع، وترتب على النحو التالي:

فهناك فهرس للآيات القرآنية الكريمة ثم الأحاديث النبوية الشريفة ثم الأمثال ثم القوافي، ثم فهرس الأعلام، ثم فهرس

المدن والأماكن والأنهار، وفهرس القبائل، والأحداث والسنين، والمصطلحات البلاغية، والمصادر والمراجع، وقد لا يحتاج كل بحث إلى كل هذه الأنواع من الفهارس.

ج - الإشارة إلى المصادر والمراجع : من الأمانة العلمية أن يشير الباحث إلى المصادر التي استعان بها في بحثه ويتم هذا بطريقة من الطرق الآتية :

١- الإشارة إلى المصادر في الهوامش السفلى أولاً بأول في صفحات البحث المختلفة، ويمكن وضع قائمة بمصادر كل فصل أو جزء في نهايته.

٢- وضع قائمة واحدة بالمصادر في نهاية البحث، وهذه هي الطريقة المألوفة والمتبعة، وهذه المصادر تساعد القارئ الذي يريد أن يتوسع أو أن يقرأ كتاباً أعجبه منها^(١). وعلى الباحث أن يسجلها على حسب الترتيب الهجائي.

د - المقدمة : وتكون في أول البحث، وفيها يبين الكاتب السبب الذي من أجله كتب هذا البحث، والدوافع التي جعلته يقدم على ذلك الموضوع.

وفي المقدمة يترأى للباحث توضيح أهمية الموضوع وتحليل لفكرة البحث وطبيعته العلمية، ولا بد أن يوضح صورة للخطا العلمية التي يسير عليها، وما وصل إليه قبل أن يخطو

(١) انظر : في المكتبة العربية للدكتور حمزة الدمرداش رغلول ص ١٧، ١٨ ط ١ ١٩٨٠ م دار الطباعة المحمدية.

ببحثه خطوات إلى الأمام، فيعطى للقارئ فكرة عنه وعن أبوابه وفصوله والمراجع التى ساعدته على الكتابة، وهل كانت ميسورة أو غير موجودة ؟ والصعاب التى واجهته أثناء الكتابة وكيف ذللها؟.

ثم يشير للمصادر التى استقى منها مادته ومعلوماته مركزاً على الأهم منها، ذاكرةً تلك المصادر ببعضها، وأقربها زمنياً إلى الموضوع والتى اعتمد عليها وتقدم بها على غيرها، هذا وإذا توفر للكاتب براعة استهلال موضوعه عن طريق المقدمة، فإنه سيحظى بشغف القارئ وتشوقه، ثم يختم المقدمة راجياً أن يكون بحثه فى مستوى أفضل وأجود وأن ينتفع به من يطلع عليه.

أما الحديث عن التمهيد، فإنه يختلف باختلاف الموضوعات ويكون حسب ما يحتاجه الموضوع ويخدمه.

هـ - الخاتمة : وتكون فى نهاية البحث وقبل كتابة المصادر والمراجع، وفيها يسجل الكاتب المبتكرات العلمية التى توصل إليها أثناء بحثه، وتكتب على حسب أهميتها وجودتها وقيمتها فى نظره، وهى تعطى صورة موجزة للقارئ عن فائدة البحث وأهميته، ولا بد أن تحظى بالعناية الكبيرة فى التنظيم وجمال الأسلوب، حيث يبقى أثرها فى نفس القارئ، فيشعر بحسن الانتهاء الذى يشوقه للموضوع، ويدفعه إلى قراءة الموضوع مفصلاً لما تركه حسن الخاتمة من أثر طيب فى النفس، لأن من القارئ من يحب الاطلاع السريع، نظراً لضيق الوقت، أو لحب المعرفة بأكبر قدر من الكتب.

الفصل الثاني:

أولاً : المعاجم أو القواميس العربية.

ثانياً : معاجم التراجم والسير.

ولتكمل الفائدة من التعرف على خطوات كتابة بحث بلاغي على أساس قويم، فإنه يجب على القارئ أن يتعرف على أهم ما يحتاجه ويستخدمه من معاجم عربية أو معاجم التراجم والسير والموسوعات العربية.

أولاً : المعاجم أو القواميس العربية :

المعاجم أو القواميس هي المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات الخاصة بالكلمات من حيث النطق والتركيب والمعنى والأصل وغير ذلك.

ويطلق "المعجم" اليوم على كل كتاب يجمع مفردات اللغة، ومرتب على حروف الهجاء، وقد يسمى المعجم قاموساً، فالكلمتان يمكن اعتبارهما مترادفتين، وتحتاج المعاجم إلى إلمام كاف بالقواعد الصرفية واللغوية ودقائق علم الاشتقاق، والمقدرة على رد الكلمات إلى أصولها الثلاثية، فإذا أراد الباحث معرفة معنى كلمة "استنشاق" مثلاً فإنه يجدها في مادة "نشق" أو كلمة "استعمار" فإنه يجدها في مادة "عمر" وكلمة "محيط" في مادة "حوط" فالترتيب فيها أو في الغالبية العظمى منها على أساس الفعل المجرد الثلاثي للكلمة.

إن من يفهم ما يقرأ يكون على قدر كبير من المعرفة، وتكون لديه القدرة على التعبير في المناسبات المختلفة بالألفاظ والكلمات التي يعرف معانيها ويملك زمامها، وكلما كانت عنده ثروة لغوية فإن قدرته على الكتابة والفهم تكون أقوى وأكبر من قدرة غيره.

وربما يتوقف معنى الجملة على معنى كلمة واحدة غريبة لا يفهمها القارئ، وقد تكون هذه الكلمة مفتاح الأفكار في العبارة أو الفقرة، لذا يجب على الباحث أن يعرف معنى كل كلمة تمر عليه بالبحث عنها في أحد معاجم اللغة التي يجب أن يحتفظ بها لاستخدامها في أوقاتها المناسبة لها، ومن هنا كانت أهمية المعاجم في فتح ما استغلق فهمه على الباحث. والمعاجم العربية نوعان : معاجم الألفاظ، ومعاجم المعاني.

١ - **معاجم الألفاظ** : هي التي تفسر المفردات اللغوية وتبين معانيها مع ذكر الاشتقاق والمترادف والمتشابه ولها طريقتان :

الطريقة الأولى : هي ترتيب الألفاظ في المعجم باعتبار الحرف الأخير من الكلمة، ولكل حرف باب، ثم ترتيب كل باب من هذه الأبواب وفقاً للحرف الأول من الكلمة وهكذا، وتسمى هذه الطريقة طريقة الترتيب على أساس "القافية"، فإذا أراد الباحث معرفة معنى كلمة "وسم" مثلاً بحث عنها في باب الميم فصل الواو، فأصول اللغة العربية تصنف في ثمانية وعشرين باباً هي حروف الهجاء من الهمزة إلى الياء، ثم تورد جميع الأصول اللغوية في باب الحرف الأخير فمثلاً : لعب - وثب - حلب - حجب - نضب، تذكر جميعاً في باب "الباء" ثم ترتيب هذه الكلمات في داخل كل باب بحسب أوائلها فيكون عدد فصول كل باب ثمانية وعشرين فصلاً بحسب حروف الهجاء.

ويسير على هذه الطريقة في الترتيب : لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزبادي والصاحح للجوهري.

والطريقة الثانية : هي الترتيب الهجائي المعروف، فترتب الكلمات حسب الحرف الأول، وإذا اشتركت الكلمات في الحرف الأول ترتب حسب الحرف الثاني، وهكذا، وهذه طريقة حديثة مستخدمة في ترتيب المعاجم، وهي أحسن طرق الترتيب، وما يسير على هذه الطريقة:

"أساس البلاغة للزمخشري"، "المصباح المنير" للفيومي، والمنجد، والمعجم الوسيط - الذي قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار وأشرف علي طبعه عبد السلام هارون-، وغيرها من المعاجم الحديثة.

٢- معاجم المعاني :

قد يجول المعنى بذهن الباحث ولا يجد اللفظ المناسب الذي يعبر عن هذا المعنى بدقة، فمثلاً إذا أردنا أن نعرف اسم الحبل الذي يرقى به الرجل النخلة فسنجد في معجم "الإفصاح في فقه اللغة" أن اسمه الكسرة، والحبل الذي يوضع في أعناق الدواب اسمه "الوهق" وجمعه : "أوهاق"^(١)

ومن أشهر معاجم المعاني التي ترشد الباحث إلى اللفظ الذي يدل على المعنى "كتاب الألفاظ" لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ، "فقه اللغة" للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، كتاب "المخصص" لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى ٤٥٨ هـ ويقع في سبعة عشر جزءاً، ولقد صدر حديثاً

(١) انظر : في المكتبة العربية ص ٢١ : ٢٣ بتصرف.

من معاجم المعانى "الإفصاح فى فقه اللغة" تأليف حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدى، وقد عمد المؤلفان إلى كتاب "المخصص" فهذباه وحذفا اسناده، وأضافا إليه، وراجعا مادته على معاجم اللغة الأخرى، وأخرجوا "الإفصاح" فى صورة حديثه، وهو مقسم إلى أبواب، والأبواب إلى موضوعات.

ويمتاز الكتاب عن المرجع الأسمى ببعض الصور التوضيحية للحيوان والنبات والشجر والطيور والسمك، وفى نهاية المجلد الأخير معجم مواد اللغوية مرتبة بحسب الحروف الهجائية، وأمام كل مادة أرقام صفحاتها، فأصبح بذلك معجماً للألفاظ إلى جانب كونه معجماً للمعانى.

ثانياً : معاجم التراجم والسير :

اهتم العرب اهتماماً كبيراً بالتاريخ وتدوين ترجمات النوابغ والمشاهير فى جميع الفنون، فتركوا لنا ثروة ضخمة من الكتب التى تحفل بالتراجم، فمنها على سبيل المثال معجم الأدباء لياقوت، وفيات الأعيان لابن خلكان وهما مرتبان ترتيباً هجائياً بحسب الأسماء، ومنها ما رتب بحسب العصور أو سن الوفاة، فكتاب "يتيمة الدهر فى شعراء العصر" للثعالبي يترجم لأعلام الشعراء فى القرن الرابع الهجرى، "البدر السافر وتحفة المسافر" للأدقوى (ت ٧٤٨ هـ) يترجم لأعلام القرن السابع، "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلانى (ت ٨٢٥ هـ). ومن التراجم التى تتخذ سنة الوفاة أساساً فى ترتيبها - على سبيل المثال - : (البداية والنهاية) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ، (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) لابن العماد الحنبلى ت :

١٠٨٩ هـ ، ومثل هذه المعاجم لا يستفيد منها الباحث إلا إذا علم سنة الوفاة للعلم الذى يبحث عنه.

ومن معاجم التراجم أيضاً "الأعلام" لخير الدين الزركلى من ثمانية أجزاء وفيه تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، وهو أحدث معاجم التراجم التى ظهرت حديثاً وهو يسير فى التراجم حسب الاسم الأصلى للعلم، وهو مرتب حسب الحروف الهجائية، وترتيب الأسماء حسب الحرف الأول ثم ما يليه، ومن أهم ما يميز هذا المعجم أنه يورد فى نهاية كل ترجمة فى الهامش أهم المصادر التى رجع إليها واعتمد عليها وهو يذكرها باختصار.

وهناك معجم تراجم قصيرة لمصنفى الكتب العربية للراجلين من عرب وعجم، وهو "معجم المؤلفين" تأليف عمر رضا كحالة من خمسة عشر جزءاً ويتبع المؤلف اسم المترجم له وشهرته وبجانبه تاريخ مولده ووفاته بالتاريخين الهجرى والميلادى، ثم نسبته وكنيته ولقبه والمجالات العلمية التى برز فيها، ثم مكان ولادته وزمنها ورحلته ومناصبه ثم مؤلفاته، وقد اكتفى بذكر خمسة كتب للذين أكثروا التأليف، ويقتصر على الحقائق والوقائع البارزة فى سيرة المترجم له، ثم يتوسع فى ذكر المصادر التى ينصح بالرجوع إليها لمعرفة تفاصيل أكثر.

وسيحتاج الباحث أيضاً لموسوعات عربية أخرى مثل معجم البلدان وهو من تأليف شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى المتوفى ٦٢٦ هـ ، وهو معجم عام لأسماء البلدان والمواضع، فيتناول المدن والقرى والسهل والوعر والخراب والعمار .. الخ مع استطرادات أدبية وتاريخية، فيذكر ما اشتهرت به من عجائب، ومن نبغ بها من العلماء والأدباء والصالحين، وموقعها وما

سميت به منذ القدم إلى عصره، فهو يعتنى عناية شديدة بضبط أسماء البلاد، ومتى فتحها المسلمون إلى غير ذلك من موضوعات، والكتاب مرتب ترتيباً هجائياً باعتبار أوائل الأسماء، ومقسم إلى ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم، وهو ينظر إلى أصول الكلمات وزوائدها؛ لأن جميع ما يرد إنما هو أعلام لمسميات مفردة وأكثرها أعجمية لا مساغ للاشتقاق فيها.^(١) ولقد طبع في مصر وفي بيروت، وطبعة بيروت تحتوى على خمس مجلدات، ونرى موسوعة أخرى يحتاجها الباحث هي : الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني على بن الحسين المتوفى ببغداد ٣٥٦ هـ ويعتبر هذا المرجع من أمهات كتب الأدب العربى، فقد ترجم مؤلفه لأكثر شعراء العرب حتى عصره، من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين - هذا ويحتاج باحث البلاغة إلى ذلك إذا كان بحثه فى تطبيق البلاغة على أحد الشعراء من تلك الحقب والطبقات - كما ترجم المؤلف لكثير من المغنين فى الدولتين الأموية والعباسية وقد جمع فيه الأغاني العربية قديمها وحديثها، وينسب كل ما ذكر منها إلى قائل الشعر، وفى أثناء ذلك يفسر الغريب، ويبين عروض الشعر وضربه، وبذلك يعتبر الكتاب موسوعة أدبية ومصدراً أساسياً لتاريخ الحضارة العربية والشعر العربى فى هذه القرون، والكتاب مؤلف على طريق الرواية والسند القديمة، وأبو الفرج من الذين يعتمد عليهم، ويوثق بهم، ولهذا أصبح الكتاب مصدراً هاماً من مصادر الأدب العربى، وهو كتاب ضخم فى أربعة وعشرين جزءاً، طبعته دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١) انظر : المكتبة والتربية ص ١٢٧ وما بعدها بتصرف تأليف عبد ربه محمد وعبد الجليل السيد حسين. دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.

الفصل الثالث :

أهم مراجع المكتبة البلاغية.

بحسب عصورها المختلفة.

أما حديثي عن المراجع البلاغية، فلا أستطيع حصرها هنا بما تحويه من أبحاث تختص بعلوم البلاغة، ومسائلها، وطرق تأليفها، إلا أنني سأشير إلى أهم ما يحتاجه الباحث منها، موجهة نظره إلى أعلام البلاغة والخطوط العريضة المكونة لمراجع المكتبة البلاغية بمنهجها وتطور تاريخ البلاغة عبر العصور التي مرت بها وذلك بإيجاز، وأبرز ما كان فيها من كتب بلاغية.

نبذة عن البلاغة في العصر الجاهلي والإسلامي :

اشتهر العرب بالفصاحة والبلاغة في العصر الجاهلي، وقد ذكر القرآن الكريم ما يؤيد ذلك في قوله تعالى (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ)^(١) وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^(٢) .

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بفصاحته وذكر أصالتها في قومه ونفى اللحن عن نفسه فيقول : (أنا أعرب العرب، ولدتي قريش ونشأت في بنى سعد، فأنى يأتيني اللحن).

ويقول أيضاً : (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش)^(٣).

ووصف الجاحظ العرب بالفصاحة والبلاغة، وقدرتهم على القول في كل غرض؛ لقد مدح العرب العمل الجليل، وتغنوا بالحسب الكريم، وتحدثوا عن مكارم الأخلاق،، وأطالوا وصف الحبيبة في وقوفهم بالطلال الدارس ولقد وصفوا وأجادوا

(١) سورة المنافقون الآية ٤

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٤

(٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٦٠ تحقيق الصعدي ط صبيح ١٣٧٢ هـ

الوصف، ولقد تبادوا في الهجاء، ووصف النزاع والقتال بين القبائل، كما نذبت الأخت أخاها، والمرأة بعلمها.

ومختصر القول فقد ظهرت عندهم البلاغة الفنية في أسمى درجاتها، وهي معالجة القول في أي غرض.

أما البلاغة التعليمية التي تدرس أبواب البلاغة وتفصل القول فيها، وتعرف كل باب وتبين أقسامه وحدوده فلم تكن لديهم، فلم يعرفوا تعريف التشبيه ولا الاستعارة ولا الكناية بالمعنى العلمي الذي نعرفه اليوم، ولكنهم عرفوا الألوان البلاغية معالجة، فنراهم شبهوا فأصابوا، واستعاروا فأبدعوا، وطابقوا فجاء طباقهم سهلاً فطرياً غير متكلف، وجاء في شعرهم ما يسميه البلاغيون الإحصاء والمشاكلة والتورية وحسن التقسيم .. إلى غير ذلك من بلاغة استشهدوا لها من شعرهم ونثرهم بالكثير من قولهم، فقد ورد عنهم قولهم "أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والناطقة إذا رهب والأعشى إذا طرب"^(١).

نستنتج من هذا أن عرب الجاهلية كانت لديهم ملكة فنية مكنتهم من تمييز جيد الكلام من رديئه، كما كانت لديهم أحكام وضعت كل شاعر في مكانه الفني اللائق به.

هذه الأحكام النقدية كانت تقوم على ذوق عربي أصيل، فكان نقدهم نقداً ذاتياً شخصياً لا يقوم على أسباب أو توضيح، وبمرور الزمن ذكر العلماء لهذه الأحكام تعليقات، قامت - غالباً - على أسس

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٦٣ تحقيق اليماري وأبي الفضل ط ١ الحلبي.

بيانية بلاغية حيث تحول النقد الذاتي إلى نقد تحليلي أو نقد بياني ينظر إلى المعاني والصيغ بقواعد وأسس بلاغية.

أثر القرآن الكريم على العرب :

ولما نزل القرآن قويت ملكة النقد، لأن العربي كان يسمع القرآن الكريم، ويقرأ آيات التحدي فينظر فيه ثم ينظر في كلام البشر فتتبين له مواقع الإعجاز في كلام الله، ومواطن التقصير في كلام البشر، وهكذا كان يدخل العربي الإسلام عن طريق البيان والنقد، ولقد كان للقرآن الكريم أثر بعيد المدى في رقى البلاغة الفنية، فهو أبلغ كتاب في أغراض اللغة العربية ومعانيها وألفاظها وأساليبها، ولم تظفر البلاغة بشئ من التدوين في ذلك العصر نظراً لأنها مركوزة في طبائعهم، فعندهم ملكة القواعد البلاغية التي يقوم عليها إنشاء الكلام الفني والتي كانوا يعتمدون عليها في تمييز الكلام الجيد من الرديء.

النقد في العصر الأموي :

اشتدت حركة النقد في العصر الأموي نظراً لقوة الخصومة بين الشعراء، فازدادت رغبة الناس في المفاضلة والموازنة بين قول وآخر وبين شاعر وشاعر، ومضى بهم هذا بالضرورة إلى النقد وإصدار الحكم، وخلق هذا أيضاً روحاً جيدة في النقد وقدرة على تحليل صياغة الشعر ومعانيه تحليلاً فيه عمق وفيه اختلاف في الذوق والحكم، مما أدى بالنقد في ذلك العصر أن يكون هادياً ومرشداً وملزماً للشعراء والخطباء أن يلتزموا التقاليد العربية والإسلامية واللغوية، فكان الأدب في ناحية الصياغة متيناً وكانت الإرشادات والمآخذ كافية لهذا

العصر اللغوى الراقي، فالذوق مازال عربياً خالصاً والطبع نقياً صافياً، أما بعد أن فسدت الملكات وفشا اللحن فقد تحولت المآخذ والإرشادات إلى قواعد بلاغية يسير على هديها النقاد والأدباء والكتاب، فظهرت مرحلة الإشارات البلاغية المبنوثة في تضاعيف الكتب، وقام العلماء بوضع الكتب التي توضح الأساليب البيانية في الأدب العربي بعامة، وتبين طرقها وفنونها وضروبها وتشير إلى بعض الأساليب البلاغية. وكان من أهم هذه الكتب في القرن الثاني الهجري

أولاً: كتاب "مجاز القرآن" :

لأبى عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ وكان سبب تأليف كتاب مجاز القرآن مسألة بلاغية تتعلق بالتشبيه، وكون المشبه به معلوماً أو غير معلوم، واتخذ أبو عبيدة القرآن الكريم الأساس الأول لدراسته، معتمداً على فقهه باللغة العربية وأساليبها واستعمالاتها، والنفاد إلى خصائص التعبير فيها، وتعرض لمسائل بلاغية كان منها الإيجاز، فبين أنه من مذاهب العرب في كلامها قصد التخفيف، ويشترط علم السامع به مثل قوله تعالى: "وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ"^(١) مجازها : أهل القرية.^(٢)

ثم ذكر أبو عبيدة الإطناب ولكن من غير تسمية وبين بعض أغراضه، وكشف عن أسلوب التقديم والتأخير بدون تحليل، وتحدث عن أسلوب الاستفهام ولاحظ خروجه عن معانيه الحقيقية، وكشف عن بعض أغراضه البلاغية.

(٢) سورة يوسف الآية ٨٢

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٠٣/١ علق عليه وعارضه بأصوله د / محمد فؤاد سركين مكتبة الخانجي القاهرة.

وتعرض للمجاز العقلي أيضاً من غير تسمية، واسترعت نظره الصور التشبيهية، ويذكر في قوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ)^(١) كناية وتشبيهها، ويذكر التمثيل، ويقصد به التشبيه أو تشبيه التمثيل.

"يستعمل أبو عبيدة في تفسيره للآيات هذه الكلمات مجازة كذا، وتفسيره كذا، ومعناه كذا، غريبه كذا، وتقديره كذا، وتأويله كذا، على أن معانيه واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة "المجاز" عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أهم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد".^(٢)

ثانياً "معاني القرآن" الفراء ٢٠٧ هـ :

ويعنى به ما يشكل في القرآن الكريم، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وسبب تأليفه أن أحد أصحابه وهو - عمر بن بكر - كان يصحب الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت، فلما قرأ الفراء الرسالة جمع أصحابه فأملى عليهم تفسير القرآن الكريم من أول الفاتحة إلى آخره.^(٣)

سار الفراء على منهج أبي عبيدة إلا أن ثقافة الفراء النحوية ظهرت في كتابه بشكل واضح، وشرح بعض الألفاظ والآيات القرآنية وبعض الأساليب البيانية والتراكيب الإعرابية، ويرد كل هذا إلى مذاهب

(١) البقرة ٢٢٣

(٢) انظر : مجاز القرآن ١/١٨، ١٩

(٣) معاني القرآن للفراء ١/١٢، ١٣ بتصرف تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.

العرب في كلامها، واحتوى كتابه على المسائل البلاغية مثل : الإيجاز والإطناب، وعرف صورته، ووقف أمامها وأبان الغرض منها، وأسلوب التقديم والتأخير، ولكنه لم يُبين السر البلاغي كما فعل أبو عبيدة، ووضح المجاز العقلي، وأسلوب الاستفهام، والالتفات ولم يسمه، وبَيَّن استعمال المضارع مكان الماضي، ولكن من غير بيان سر هذا الاستعمال، وعرف أسلوب التشبيه ووضح المشبه والمشبّه به ووجه الشبه، وتعرض للاستعارة، ولكنه لم ينص عليها صراحة، وعرف الكناية، وأطلقها على الأسلوب المعروف بالكناية اللغوية، وعرض للمشاكله، ولكن بدون تسمية، تلك كانت إشارات الفراء البلاغية.

جاء القرن الثالث الهجري فكثرت الفرق الإسلامية، وتبوعت اتجاهاتها، واشتد الخلاف بينها، واتصل خلافهم وجدلهم حول القرآن الكريم، وأخذ الإلحاد يصبو سهامه نحو الطعن على النظم القرآني والنظم العربي بوجه عام، مما جعل علماء المسلمين يدافعون عنهما، ونتج عن ذلك آراء في البيان العربي فأبرزوا محاسنه، وكان ممن أسهم في كثرة الإشارات البلاغية والآراء البيانية الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وأبو العباس ثعلب.

الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي، المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن.^(١) وهو زعيم البيان العربي في قوته وأسرته وفي دقته وصحته، وحلاوته وجمال فنه، وهو يرى أنه لا بد من

(١) وفيات الأعيان لابن حلكان تحقيق محي الدين ١٤٠/٣ ط ١٩٤٨ مكتبة النهضة.

دراسة اللغة العربية وآدابها وفنونها وضروبها حتى يستطيع الدارس أن يميز بين نظم ونظم وبين كلام وكلام^(١).

لم يخصص الجاحظ لنا كتاباً في البلاغة أو النقد، ولكن كتابيه "الحيوان"، و"البيان والتبيين" هما من الكتب الجامعة التي زخرت بالأمثلة الأدبية مما يربى الناحية الفنية الأدبية في القارئ، لما فيها من إبداع الأدب ونقده. والجاحظ مؤسس البيان العربي بلا منازع، وله هذه التسمية وبها سمى كتابه "البيان والتبيين" وقد جمع له مادة غزيرة من أقوال الأدباء والشعراء والخطباء، ووضع له الأسس التي سار عليها البلاغيون والنقاد من بعده، وأورد في الجزء الأول منه عدة تعريفات تكشف عن تصور الأجانب والعرب للبلاغة قبل عصره، وقد أوردتها البلاغيون من بعده في كتبهم، وإيراده لتعريفات البلاغة بدون مناقشة يدل على اعتقاده بأن كل تعريف يكشف عن ناحية من هدف البلاغة على الأقل، واستحسن تعريفاً للبلاغة يقول عنه : وقال بعضهم : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك^(٢). وألف الجاحظ كتاب "نظم القرآن" فيرى أن وجه إعجاز القرآن البلاغي هو نظمه البديع وتأليفه العجيب، فهو يخالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وأن نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج^(٣) ولقد ضاع هذا الكتاب مع الأيام ولم يبق لنا منه إلا بعض الإشارات القليلة الموثقة في كتابه البيان والتبيين.

(١) انظر : تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها ص ٦٦ بتصرف.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١١٥/١ تحقيق هارون ط ٢ الخانجي بالقاهرة والمشي بغداد سنة ١٩٦٠م.

(٣) البيان والتبيين ٢١٣/١.

ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي النحوي اللغوي كان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيدة. (١)

درس ابن قتيبة الحديث والفقه والكلام والفلسفة واللغة، ومال إلى أهل السنة ودافع عن كثير من معتقداتهم وآرائهم، وترك الكثير من المؤلفات التي تدل على سعة علمه، وغزارة معلوماته، فمن مؤلفاته : أدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، والمعارف، والرد على من يقول بخلق القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، والأشربة، وكتاب الميسر وكتاب الإبل، ومعاني الشعر، (٢)

ويتضح من أسماء هذه الكتب أن ابن قتيبة قد شارك بالتأليف في كثير من العلوم، مما يدل على سعة اطلاعه وإجادته للعلوم المختلفة.

وفى (تأويل مشكل القرآن) صدره ببيان وجه إعجاز القرآن، فقرر أنه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب، ثم أشار إلى عناصر الجمال في النظم القرآني، فتحدث عن الجمال التوقيعي والنسق الصوتي البديع الناشئ من تقسيم الحركة والسكون فيه تقسيماً عادلاً، وإذا سمع السامع القرآن طرقت أذنه جواهر ألفاظه وأجراس حروفه فشعر بلذة وتاقت الأذن لسماعه بحب وشغف (٣).

(١) وفيات الأعيان ٤٢٦/٢.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٤٢٣/٢ - ٤٤، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩٦/١٣ مؤسسة الرسالة ط ٢ سنة ١٩٨٤، شذرات الذهب ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣، ٤ تحقيق السيد أحمد صقر - ط الحلبي ١٩٥٤م.

وقد أدرك ابن قتيبة عناصر الجمال في الكلام بوجه عام فقال إنها تأتي من ثلاث جهات :

أولاً : الألفاظ ، ثانياً : المعنى الأصلي. وثالثاً : المعاني البلاغية أو الصورة البلاغية التي تحدثها الألفاظ إذا ضُمت إلى بعضها على طريقة مخصوصة.

فالتعبير عن المعنى يكون بالألفاظ الموضوعة له في أصل اللغة، وأن تكون الألفاظ على قدر المعاني لا تزيد ولا تنقص، وهناك تصرفات بلاغية تعبر عن معان في نفس الأديب أحياناً لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ، أو إذا عبر عنها بالألفاظ طال الكلام وثقل، وهذا يفهمه العربي الأصيل أو دارس اللغة العربية دراسة عميقة وأتقن آدابها.

ولقد رأى ابن قتيبة أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا القن^(١)، فالطريقة أو التصرفات البلاغية أو المشكل كما أطلق ابن قتيبة عليها، استغلها المعاصرون له سواء عن حسن نية أو سوء نية، ممن يحقدون على الإسلام أو لا يتقنون آداب اللغة العربية، فابتدأ ابن قتيبة بدارسة "المجاز" لأن المشاكل أكثر ما تكون فيه، ولأن غلط أكثر المتأولين من جهته.^(٢)

(١) المرجع السابق ص ٦٢ بتصريف واللقن : سريع الفهم.

(٢) المرجع السابق ص ٧٤، ٧٥ بتصريف.

وبعد ذلك تحدث عن الاستعارة، ثم الإيجاز بنوعيه، ثم الإطناب، وتعرض لبعض صوره، ثم تحدث عن الكناية والتعريض والتورية، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، فجمع تحت هذا العنوان فنوناً من التعبيرات جاءت على خلاف مقتضى الظاهر، ووضح الغرض البلاغي منها، وأثبت أنها من مذهب العرب في كلامها، وتحدث عن التشبيه والتمثيل، وألوانا بلاغية أخرى عدها المتأخرون من البديع "كالتوجيه" ولكنه لم يزد فيه عما قال الفراء^(١)، وعرض لتأكيد المدح بما يشبه الذم، وعرف حسن الابتداءات، ومثل لكل ذلك من أقوال العرب، ومن آيات القرآن الكريم.

المبرد ت ٢٨٥ هـ

هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ألف كتابه "الكامل في اللغة والأدب" وغرضه من تأليف الكتاب سد حاجة السائقين وإرضاء رغباتهم؛ لأنه جمع فيه ضروباً من الآداب من نثر وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة، واختار خطباً شريفة ورسائل بليغة، وكان يفسر ما يقع فيه من كلام غريب، أو معنى مستغلق، ويشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً حتى يستغنى قارئ الكتاب عن غيره، فأصبح من كتب الأدب المحدودة.

ولقد نثر فيه من مسائل البلاغة كالإيجاز والإطناب، وتحدث عن أسلوب الالتفات، وأسلوب الاستدراك، وخروجه إلى

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ص ٦٠ بتحقيق السيد صقر.

التقرير والتوبيخ، وتحدث عن التغليب، وأسلوب التقديم والتأخير، والقلب بما لا يزيد عن السابقين، وذكر أمثلة للمجاز العقلي ولم يسمه، وعرف الاستعارة، ولكنه لم يزد فيها شيئاً، وتحدث عن التشبيه، وقال إنه جار في كثير من كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد^(١) وتحدث عن الكناية، وذكر معنى اللف والنشر.

ويذكر بلاغة الشعراء ويوازن بينهم، ويفضل بعضهم على بعض، ويجعل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كلامهم، فإذا ما وصل إلى القرآن الكريم جعله فوق هذا وذاك.

ثم ينظر في بلاغة القرآن وبلاغة الشعراء، ويبرز بلاغة القرآن الكريم، وفي محاورته للكندى حينما ادعى أن في اللغة العربية حشوا كشف عما عرفه المتأخرون بأضرب الخبر.

وله كتاب آخر هو : "البلاغة" يذكر فيه بلاغة الشعراء، ويوازن بينهم، ويفضل بعضهم على بعض، ثم يجعل قول الرسول صلى الله عليه وسلم فوق كلامهم، فإذا ما وصل إلى القرآن الكريم جعله فوق هذا وذاك، ولم يقدم أسباباً موضوعية، ولم يضع يده على خصائص فنية لهذا التفضيل، وتلك الموازنات، وإنما اعتمد على إحساسه الصادق، وعلى ذوقه الصافي، فيقول : "فإذا جاء أمرُ القرآن نظرت إلى الشيء

(١) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ٦٩/٢ روجع لمعرفة نخبة من العلماء و سر

التجارية مطبعة الاستقامة ١٩٥١م.

الذي هو أَوْحَدٌ، والقول الذي هو مُنْبَتٌ، ألا ترى أن الله جعله الحجة والبيان، والداعى والبرهان؛ وإنما وضع السراج للبصير المستضى، لا الأعمى والمتعمى" (١).

ثم يوازن بين النظم القرآنى، وبين نظم الشعراء فيقول :
"قال أحد الشعراء في وَصْفِ قوم يحملون الشعر ولا يفهمونه،
قولا أجاد فيه، وتقدم كلام كثير من المخلوقين فقال :

زَوَامِلُ لِلشُّعَارِ لَا عِلْمَ عَنْدهُمْ بجيدها إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِى الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بأوساقه أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغُرَائِرِ
فهيهات هذا من قول الله تبارك وتعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا
التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)" (٢)

ثم يقول : "وقال الأولون منّا : "القتل أقل للقتل" يقول : إذا قُتِلَ
القاتل امتنع غيره من التعرض للقتل، فهذا أحسن الكلام من كلام مثله.
ثم يقول : ولو اعترض معترض فقال : من القتل ما يهيج القتل،
ويبعث عليه لكان ذلك له، وإن لم يكن ما قصد له القاتل.

فإذا جاء قوله جل وعز : "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ" (٣).

جاء مالا اعترض عليه، ولا معارضة له، وقوله تعالى : "يا أولى
الآلئباب" خطر ثان، فتبارك الله الذي ليس كمثله شئ".

(١) البلاغة للمرد ص ٩٠ - ٩٢ تحقيق د/ رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الثقافة الدينية.

(٢) سورة الجمعة آية ٥.

(٣) البقرة ١٧٩.

فواضح مما تقدم أن هذا كله إحساس بروعة النظم، ولم يصل إلى مرتبة الشرح والتفسير والتعليل.

ثعلب ت ٢٩١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ألف كتاب "قواعد الشعر" تحدث فيه عن الشعر وأركانه وفنونه وأقسامه، ونثر فيه بعض المسائل البلاغية كالتشبيه، وذكر الإفراط والغلو في المعنى^(١) ولطافة المعنى وهى عنده الدلالة بالتعريض على التصريح، ثم يذكر الاستعارة، وتكلم عن حسن الخروج ومجاورة الأضداد، والمطابقة والتجنيس واتساق النظم^(٢).

وبالحديث عن ثعلب تنتهى مرحلة الإشارات البلاغية المبنوثة بين تضاعيف الكتب، وكانت سمة هذه المرحلة هو تفسير الغامض من الأساليب البيانية، وإظهار الإحساس الذوقى دون تحليل أو بيان لعناصر الجمال في الأدب العربى، وكانت مجهودات أبى عبيدة، والفراء، والجاحظ، وابن قتيبة، وثعلب، والمبرد، من العوامل التي دفعت ابن المعتز إلى أن يخرج للدارسين ولأبناء العربية كتابه "البيدع".

ابن المعتز ت ٢٩٦ هـ

هو الخليفة العباسى عبد الله بن المعتز بن المتوكل، أحد الشعراء العلماء، ومن رجال البيدع، أخذ الأدب عن أبى العباس المبرد، وأبى العباس ثعلب وغيرهما^(٣).

(١) انظر قواعد الشعر لثعلب ص ٤٠، ٣٩، ٣١، ٣٠ تحقيق خفاجى ط ١٩٤٨ م.

(٢) قواعد الشعر لثعلب ص ٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٢٦٣ تحقيق محى الدين ط ١٩٤٧ مكتبة النهضة.

ألف كتاب البديع سنة ٢٧٤ هـ^(١) والغرض منه : تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شئ من أبواب البديع، وأن ما أتوا به وأكثروا فيه بما يسمى بديعاً موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي وشعر الجاهليين والإسلاميين.

وللكتاب "أهمية كبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في البيان العربي على مر عصورنا الأدبية، وهو ينحصر في دراسة ألوان البديع نحو الدراسات التطبيقية الواسعة التي لها أثرها في تكوين الملكة والذوق ودعم الفكرة والرأى في نفس القارئ، ويشتمل الكتاب على ٣١٢ شاهداً من عيون الشعر العربي تبلغ ٤٢٥ بيتاً أو تزيد فوق ما اشتمل عليه من بليغ النصوص والشواهد من الذكر الحكيم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب.

والكتاب مع ذلك خلو من الاصطلاحات العلمية الدقيقة، وتحديدات المنطقيين العميقة، وهو يكتفى بمدلول اللون البديعي بشرح أدبي موجز حيناً وبما تدل عليه الشواهد حيناً آخر، وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة مما يدل على ذوق سليم وفطرة عربية مطبوعة.

وأهم سمة يمتاز بها الكتاب بعد ذلك كله هو النظام الدقيق في العرض بما يتجلى في جميع أبواب الكتاب مع الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب، وهو فوق ذلك أول خطوة

(١) كتاب البديع لابن المعتز نشر كراتشوفسكى مطبعة ستيفن بمدينة هرت فوررد ١٩٣٥م، وهو ضمن كتاب ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان تأليف محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة النجاح.

علمية موفقة في التأليف في البديع والبيان، وإذا غضضنا النظر عن الخطوة الأولى التي خطاها ثعلب في كتابه "قواعد الشعر" كان عمل ابن المعتز جديداً مبتكراً من كل نواحيه^(١).

وقسم ابن المعتز كتابه قسمين : القسم الأول خمسة أنواع من فنون البديع كما رأى، وهى الاستعارة أولاً، وقد مثل لها بأمثلة من القرآن الكريم، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة، ثم من الشعر القديم وكان يعلق على ذلك كشفاً لقرينة الاستعارة والمستعار، والمستعار منه، ثم ذكر في ختام كلامه عن الاستعارة النوع المعيب منها ليتجنب، ولقد اشتمل ذكره للاستعارة على الاستعارة التصريحية والمكنية.

النوع الثانى من البديع : التجنيس وعرفه وسار في استشهاده على منهجه الذي رسمه لنفسه كما اتضح في القسم الأول.

والنوع الثالث من البديع هو المطابقة وقد نقل تعريفها عن الخليل رحمه الله، ووضح أمثلتها بالمنهج السابق ذكره.

النوع الرابع من البديع رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والنوع الخامس من البديع: المذهب الكلامي^(٢).

أما القسم الثانى من الكتاب ويسميه محاسن الكلام والشعر فقد ذكر ابن المعتز فيه ثلاثة عشر لونا هى : الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج من معنى إلى معنى، ويسميه المتأخرون الاستطراد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية والإفراط في الصفة، وذكر حسن

(١) انظر : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ص ٥٩٥.

(٢) انظر : البديع لابن المعتز - من ص ٦٠١.

التشبيه ولم يزد فيه على من سبقه، ولم يتعرض لبيان أركانه ولا وجه الشبه، ولكنه نبه على أحسنه، إغناات الشاعر نفسه في القوافي، وتكلفه في ذلك ما ليس له، وساق له أمثلة تنطبق كلها على لزوم ما لا يلزم، وذكر حسن الابتداء.

هذه هي الألوان التي ذكرها ابن المعتز في كتابه "البديع" وكان لعمله الأثر البعيد المدى في حركة النقد التي نشطت في القرن الرابع الهجري.

قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ.

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة ونقد الشعر وله مؤلفات أخرى^(١) وبرع في صناعة البلاغة، والحساب، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنف في ذلك كتباً منها: كتاب نقد الشعر "وقدامة يستهل كتابه" "نقد الشعر" بأن الشعر علم ينقسم إلى علم العروض والأوزان وقسم ينسب إلى علم القوافي والمقاطع، وقسم ينسب إلى علم الغريب واللغة، وقسم ينسب إلى علم معاني الشعر والقصد منه، والقسم الخامس ينسب إلى جيده ورديئه. والأقسام الأربعة الأولى عنى بها العلماء عناية تامة، ووضعوا فيها الكتب، واستقصوا أحوالها - أما القسم الخامس وهو تخليص جيد الشعر من رديئه، فلم يجد قدامة أحداً قد وضع كتاباً يتناول فيه هذا العلم، رغم أن الكلام في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام الأخرى.^(٢)

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الرومي تحقيق الدكتور أحمد فريد الرفاعي ١٢/١٧ - ١٥ مطبوعات دار المأمون راجعته وزارة المعارف.

(٢) المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور / عبد القادر حسين ص ١٥١ ط ١ دار الشروق ١٩٨٢.

هذا ويعد كتاب "نقد الشعر" الكتاب الثانى بعد كتاب البديع لابن المعتز يبحث في الشعر وبيان جيده من رديئه، إلا أنه كان ينعى على معاصريه تقصيرهم في العناية بعلم جيد الشعر من رديئه.

ولكى يبين أسباب الجودة والرداءة، يذكر عناصر الشعر وهى : اللفظ والوزن والقافية والمعنى، وانتلاف هذه العناصر مع بعضها ينتج انتلافات هى : انتلاف اللفظ مع المعنى، انتلاف اللفظ مع الوزن، انتلاف المعنى مع الوزن، وانتلاف المعنى مع القافية، ثم يتكلم عن عيوب ومحاسن هذه الثمانية، ويعرض لعشرين لونا من ألوان البديع هى : الترصيع الذي ذكر عند الجاحظ تحت اسم الإزدواج ثم يذكر التشبيه فيعرفه ثم أشار إلى أحسن التشبيه، وساق أمثلة لذلك وعلق عليها، وما يمكن أن يحسن التشبيه، وفى تحليله للأمثلة أبان إصابة التشبيه للمعنى الذي قصده الشاعر^(١)، وعرض لصحة التقسيم، ويذكر صحة المقابلة وصحة التفسير وهما من أنواع المعانى وأجناسها، وعرض للتنميم وعرف المبالغة، ومن نعوت المعانى عنده الالتفات، وذكر المساواة، ثم عرض للإشارة، وذكر الإرداف وهو نوع من أنواع الكناية. أما التمثيل فقد جعله من نعوت انتلاف اللفظ والمعنى وعرض للمطابق والمجانس والتمكين والتوشيح والإيغال، وتعرض للاستعارة فبين القبيحة منها والحسنة، وعرف التصريع وجعله من نعت القوافى، ويلاحظ في هذه الألوان التي وضحها قدامة العمق أكثر من السابقين.

(١) انظر : كتاب نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ص ١٣ —

بين قدامة بن جعفر فى كتابه أن الحدث فى نقد الشعر اتجه إلى جوانب غير مهمة فى العمل الشعرى مثل الحديث عن الوزن والقافية وطرق التعبير عن أغراضه فى حين أن هذا الحديث لا يجدى نفعاً فى رأيه، لعامة المنادين والمشتغلين بالشعر، وأن أحاديث النقد أهملت الجانب الأهم فى الشعر وهو ما يعرف به جيده من رديئه فإن الناس يخطون فى ذلك منذ تفقهوا فى العلم.

هذا وقد ألغى قدامة فى حديثه الجانب الأساسى فى نقد الشعر، وهو الذوق الأدبى المتمرس الذى هو الأساس الأهم فى فهم الأعمال الأدبية ووزنها وتقديرها.

وفى الحق أن كتاب "نقد الشعر" يعتبر الأساس الأول فى فصل النقد عن البلاغة وجعل البلاغة علماً مستقلاً له رسومه وقوانينه التى ابتعدت به عن الذوق المرهف إلى العلمية الجافة.

ابن طباطبا ت ٣٢٢ هـ :

هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه^(١).

كان معاصراً لابن المعتز وقدامة بن جعفر ألف كتابه "عيار الشعر" ليتحدث فيه عن علم الشعر وطريقة نظمه وتقريبه إلى الأفهام، وللشعر عنده أدوات لإتقانه، منها التوسع فى علم اللغة والنحو، ودراسة

(١) انظر : المهرست لابن النديم ص ١٥١ تحقيق رضا تجدد، وفيات الأعيان ١/١٣٠.

اللغة العربية وآدابها وفنونها وطريقة العرب في كلامهم وأيامهم، ثم يتحدث عن إبداع الشعر ونقده، ويتحدث عن المعاني والألفاظ، ثم يتحدث عن طريقة العرب في التشبيه، ويصل إلى عيار الشعر، ويجعل علة حسنه الاعتدال في الأساليب وموافقته للحال التي يعد معناه لها، حتى تسكن النفس وتطرب ويحدث لها أريجاً عند سماعه والتشبيه أول مقياس بلاغى نجده في كتابه وأفاض في الحديث فيه، وختم كتابه بالحديث عن الشعر من حيث اللفظ والمعنى ولا يخلو من إشارات إلى أنواع المجاز والتشبيه^(١).

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب ت ٣٧٢ هـ

كانت أسرته تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون، وجده سليمان من جلة الكتاب، ووزر للخليفتين المهدي بالله، والمعتمد على الله، وهذا ما يؤكد وجوده في القرن الرابع الهجرى فهو معاصر لقدامة بن جعفر، ألف "نقد النثر" وهو الاسم المشهور لكتاب "البيان" ولقد نسب خطأ لقدامة، وهو جزء من كتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب، فعنوان الكتاب ليس "نقد النثر"، ومصنفه كتب في مقدمته ما يؤكد معارضته لكتاب البيان والتبيين للجاحظ حيث لم يأت الجاحظ بوصف البيان ولا أقسامه فهو غير مستحق لهذا الوصف كما يبين ذلك ابن وهب في مقدمة الكتاب، وقد ضمنه حديثاً عن الشعر بجانب حديثه عن النثر واستشهد بأمثلة من الشعر والنثر فهو يؤلف كتاباً في البيان لا في

(١) انظر : عيار الشعر محمد بن طباطبا تحقيق الحاجرى وسلام ١٤-١٧ المكتبة التجارية

نقد النثر، ومنهج الكتاب مخالف مخالفة واضحة لمنهج كتاب قدامة "نقد الشعر" فابن وهب لم يبدأ بتعريف البيان كما بدأ قدامة بتعريف الشعر، ولم يحاول أن يحصر عناصره، بل عمد إلى تقسيمات البيان، بينما اكتفى قدامة بالإشارة إلى قواعد النحو وبعض قواعد المنطق في صحة اللفظ وائتلافه مع الوزن. وصرح ابن وهب كثيراً بالأخذ عن اليونان والنقل عن أرسطو، وتوسع في شرح أصناف الدلالات. وذكر أنواعاً من البديع منها : التشبيه والكتابة والاستعارة والحذف والالتفات ويسميه الصرف والمبالغة، والتقديم والتأخير، ودعا إلى دراسة اللغة العربية والتمرس بآدابها، وتكلم عن الطلب ومنه "الاستفهام" وذكر خروجهما عن المعنى الحقيقي^(١).

وبعد فكتاب البديع لابن المعتز، ونقد الشعر لقدامة، وعتار الشعر لابن طباطبا ونقد النثر أو البيان لابن وهب، هى أهم الكتب التى ظهرت فى أواخر القرن الثالث وصدى القرن الرابع الهجرى، وهى ألقها بالبديع، وقد أثمرت عن حركة النقد العلمى المنظم عند العرب، وبلغت درجة سامية بظهور حكومة الأمدى فى الشعر وكذلك القاضى الجرجانى.

أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى ت ٣٧١ هـ

وفى القرن الرابع اشتدت الخصومة بين أنصار البحترى وبين أنصار أبى تمام فألف: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى :

(١) انظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقى ضيف ٩٣ - ١٠٢ تصدى دار المعارف بمصر

"الموازنة بين الطائيين" ويعد هذا الكتاب قفزة في تاريخ النقد العربي، فلم يعتمد على النقد الفطري القائم على الحسن دون تحليل وتعليل، وإنما كانت موازنة مؤيدة بالأدلة والتفصيلات التي تشمل الألفاظ والمعاني والتراكيب والصور، فيتسم بالجدة والموضوعية في النقد.

ويُعدّ هذا الكتاب أول كتاب في النقد المنهجي عند العرب بمعناه العلمي الدقيق، إذ سار فيه على منهج مفصّل أعلنه في صدر كتابه يقول: "وأنا ابتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعه بعض على بعض لتأمل ذلك، وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم، واعتقادي فيما لعلك تعتقد" (١)

وعقب انتهائه من عرض حجج أنصار الشاعرين يتحدث عن النقاط التي سوف يناقشها وهي :

أخطاء أبي تمام وعيوبه، وأخطاء البحتري وعيوبه، ومحاسن أبي تمام، ومحاسن البحتري، ثم الموازنة التفضيلية بين الشاعرين. ويقول الأمدى: "فأما أنا فليست أنصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكن أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقا في الوزن والقافية واعراب القافية، وبين معنى ومعنى فأقول أيهما أشعر في هذه القصيدة وفي تلك، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجميل والردئ." (٢)

(١)، (٢) الموازنة للأمدى ص ٣ تحقيق محي الدين ط ٣ الحلبي ١٩٥٩ م.

وقد مضى الأمدى يوازن بين الشاعرين، يعرض بعض المسائل البلاغية كالاستعارة والطباق والجناس والتشبيه والحذف والمجاز والاستفهام وخروجه إلى التقرير، وذكر القلب وحسن الابتداءات. وبظهور الأمدى عرف العرب النقد المنهجي بمعناه العلمى الدقيق.

القاضى على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجانى ت ٣٩٢ هـ

وهو من النقاد الذين تناولوا بعض الأساليب البلاغية في كتابه "الوساطة بين المتنبى وخصومه" وقد نثر في كتابه بعض صور البديع كالاستعارة والتجنيس والطباق والتقسيم والتشبيه والتمثيل والمبالغة كما تحدث عن التخلص والاستهلال والخاتمة.

وترجع القيمة البلاغية لكتاب "الموازنة" وكتاب "الوساطة" إلى استعمال المقاييس البلاغية في الحكم في هاتين الخصومتين، كما اتخذ الأسلوب البياني للقرآن الكريم حكماً في كل مسألة اشتدت الخصومة حولها. وليس غريباً أن تتخذ المقاييس البلاغية أداة من أدوات النقد، فهذه المقاييس استنبطت من محاسن الشعر والنثر وكون النظم القرآنى هو الفصل في مسائل الجودة والفصاحة.

وعلى هذا ففي القرن الرابع الهجرى وجهت الأنظار إلى بيان وجه إعجاز القرآن البلاغى، وكانت التساؤلات: هل يمكن بيان عناصر الإعجاز البلاغى بهذه المقاييس؟، وإذا أمكن هذا، فما دور البلاغة في التعبير القرآنى؟ هذا ما سنراه عند الرمانى وأبى هلال العسكري.

على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرماني ت ٣٨٦ هـ
من كتاب الإعجاز، كان محباً للعلم واسع الإطلاع وله مصنفات
كثيرة منها رسالته "النكت في إعجاز القرآن"^(١)

وهي رسالة تأخذ شكل جواب عن سؤال وجه إلى الرماني عن
ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجج.

ويجيب الرماني قائلاً : إن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات :
ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدى للكافة،
والصرفة والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقص
العادة وقياسه بكل معجزة.^(٢) ثم ترك الوجوه الثلاثة الأولى، والوجوه
الثلاثة الأخيرة ليتكلم عنها باختصار في آخر الكتاب.

ويبدأ بالبلاغة وهي عنده على طبقات ثلاث : طبقة عليا، وأخرى
دنيا وطبقة وسطى فأعلى طبقة في الحسن هي بلاغة القرآن وهي
خاصة به، وتعد معجزة للعرب والعجم، وما دون ذلك لبلغاء الناس،
وبلاغة عنده إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ،
وحصر البلاغة في عشرة أقسام هي : الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة،
والتلازم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة،
وحسن البيان، ثم مضى يفسرها بابا بابا وابتدأ بالإيجاز.^(٣)

(١) الاعلام للزركلي ٣٠٠/٤ ، وفيات الأعيان ٤٦٠/٢ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للحطابي والرماني وعبد القاهر

الجرجاني تحقيق الدكتور خلف الله وسلام ص ١٠ دار المعارف.

(٣) النكت ص ٧٦، ٧٥ .

وعقد مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة الناس، ومثل للقرآن بقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)^(١)، ومثل لبلاغة الناس بقولهم: القتل أنفى للقتل.

ولقد أضاف جديداً في الأبواب العشرة التي ذكرها في رسالته، فقد حدد بعضها تحديداً نهائياً، وبرزت الصورة البيانية عنده في مرحلة صباها، ثم وضع الوجوه الستة الباقية التي رد الإعجاز القرآني إليها.

ويرى الرماني أن حس البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظام حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتقبله النفس وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة.

وهو بهذا قد تعمق في بيان أسرار الجمال للألوان التي ذكرها، ثم نجد بعد ذلك أبا هلال العسكري الذي قام بدراسة واسعة في ميدان البلاغة والنقد، والذي جمع أشتات المقاييس التي تمخضت عن دراسات السابقين.

أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ

هو أبو هلال^(٢) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أحد أعلام النقد والأدب في القرن الرابع الهجري صاحب كتاب "الصناعتين" الكتابة والشعر، وقد استهله ببيان إعجاز

(١) البقرة ١٧٩.

(٢) معجم الأدباء ٢٦٤/٤.

القرآن الكريم بما خصه الله تعالى من حسن التأليف وبراعة التركيب، والإيجاز البديع مع سهولة كلمه وجزالتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها. ويوجب على المسلم تعلم البلاغة لأنها أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ، فبها يعرف إعجاز القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه فيما يبلغ عن رب العزة.

وبالبلاغة يستطيع الناقد أن يميز الكلام الجيد من الردي كما أنها تمكنه من إنشاء الكلام الجيد وابتكار المعاني الرائعة واختيار الأشعار الممتازة.

ولقد اعتمد أبو هلال في تفسيره البلاغة والفصاحة على ما ورد في "البيان والتبيين" للحافظ إلى حد بعيد، وفي أثناء ذلك تعرض لمطابقة الكلام لمقتضى الحال، والطريقة التي يراها لتربية التذوق الأدبي بما لا يزيد على الجاحظ وابن طباطبا.

ويرى أبو هلال أن الميزة البلاغية تكمن في اللفظ، وأن المعاني موجودة، فهي ملك لكل شاعر وكاتب، ويوافق الجاحظ في ذلك، على أنه لا يهمل المعاني فهو يرى أن صاحب البلاغة يحتاج إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، فالمعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة، ولقد أحسن بروعة النظم وأن كل تصرف فيه يفيد معنى زائداً على المعنى الأصلي، ولاحظ أثر التقديم والتأخير فيه.

ويعتبر كتاب الصناعتين نقطة تحول النقد إلى بلاغة، ففي طريقة تأليفه وموضوعاته وروحه ومنهجه أوضح دليل على ذلك، فقد اشتمل على عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً.

الباب الأول : في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوها وضرب الأمثلة في كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها (ثلاثة فصول).

الباب الثاني : تمييز الكلام جيده من رديئه، ومحموده من مذمومه (فصلان).

الباب الثالث : في معرفة صفة الكلام (فصلان).

الباب الرابع : في البيان عن حسن السبك وجودة الوصف (فصل واحد).

الباب الخامس : في ذكر الإيجاز والإطناب (فصلان)

الباب السادس : في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته (فصلان)

الباب السابع : القول في التشبيه (فصلان).

الباب الثامن : في ذكر الأسجاع والازدواج - (فصل واحد).

الباب التاسع : في شرح البديع والإبانة عن وجهه وحصر أبوابه وفنونه (خمسة وثلاثون فصلاً)

الباب العاشر : في ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه (ثلاثة فصول).^(١)

(١) الصناعتين لابي هلال العسكري ط ٢ ٢٣٣/٨ - ٢٦٧.

هذا ولأبى هلال ثمانية عشرة مؤلفاً^(١) والمطبوع المتداول منها ثلاثة كتب أولها وأشهرها الصناعتين، وثانى هذه الكتب شهرة كتاب "ديوان المعانى" أما الكتاب الثالث فهو كتاب لغوى واسمه "المعجم في بقية الأشياء" طبعته دار الكتب المصرية ١٩٣٤م.

ويُعد ذلك العمل البلاغى "الصناعتين" الذي يعتز به أبو هلال قد قصد منه أن يكون أداة لإبراز عناصر الإعجاز في القرآن الكريم وتمييز الجيد من الردى في الكلام العربى، والقدرة على إنشاء الكلام الفنى، وكانت أفضلية شاعر على آخر أو كلام على غيره تقتصر على الوقوف عند طباق أو استعارة أو تشبيه ... الخ، ولكن النقد الأدبى يتعمق فيصبح موضوعياً وكذلك النظرة الإعجازية في القرآن الكريم تلح على المسلمين إلحاحاً، حتى في السور القصار والمكونة من ثلاث آيات، فلا بد أن يعمل الفكر البلاغى ويجتهد حتى يصيغ نظرية لغوية أدبية تستطيع أن تبرز عناصر الجمال في كل تركيب عربى وكانت نظرية النظم التي كان لها شأنها فى ازدهار الدراسات البلاغية ولعل أول من نبه الأذهان إلى ذلك هو الإمام الخطابى.

الخطابى ت ٣٨٨ هـ

هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى^(٢) من كتاب الإعجاز الذين أسهموا فى ازدهار البلاغة العربية، ويرى أن

(١) معجم الأدباء ٢٣٣/٨ - ٢٦٧.

(٢) وفیات الأعيان ١/٤٥٣، ٤٥٥.

البلاغة من الممكن أن يتحقق بها معرفة وجه إعجاز القرآن البلاغي إذا ما عرضت العرض الصحيح ويعيب معالجة السابقين لها^(١).

ونعى على معاصريه تسليمهم بصفة البلاغة على نوع من التقليد دون التحقيق له وإحاطة العلم به، وهو لا يرضى أن يكون الحكم على الجمال الفني في الكلام بوجه عام أو على عناصر الإعجاز، قائماً على الإحساس الذاتي، وإنما يريد أن الكلام الذي يوصف بالبلاغة توضع فيه عناصر الحسن، وأن توضع اليد على الخصائص التي كان بها الكلام بليغاً، أو هو يريد أسباباً موضوعية لعناصر الجمال في الكلام بوجه عام، ولا يقتنع إلا بوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. ويرى الخطابي أن الميزة البلاغية لا تتعلق بالألفاظ فقط التي يتركب منها الكلام، بل لابد أن تضاف إليها المعاني، ويضاف كذلك مَلَأْسُهُ التي هي نظوم تأليفه.

ويصل إلى رسوم النظم وهي الأساس الثالث بعد الألفاظ والمعاني، فيرى أن الحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويرتبط بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان.

"ومن الطريف في رسالة الخطابي ما أورده من تحليل بعض النصوص تحليلاً فنياً جميلاً يكشف عن ذوق وبصر بمواطن الجمال في الكلام، وقد أثبت في آخر رسالته وجهاً آخر للإعجاز ذهب عنه الناس - كما يقول - وذلك صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس، ويلاحظ أن هذه هي الفكرة التي دار

(١) ارجع إلى رسالة الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٦-٢١.

حولها بحث عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفوس".^(١) ويعتبر الخطابي أول من نادى بتغيير طريقة دراسة البلاغة، ولفت جهده أنظار العلماء إلى بحث النظم بحثاً علمياً دقيقاً، ثم أتى من بعده القاضي الباقلاني فتحدث عن النظم ولكن على طريقته الخاصة.

الباقلاني ت ٤٠٣ هـ

هو القاضي أبو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور^(٢) له كتاب "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون على أنه لم يصنف مثله^(٣)، ألفه ليكشف عن وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ويذكر كتاب "نظم القرآن" للجاحظ ويرى أنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله وأنه لم يكشف عن إعجاز القرآن وبيان سر الإعجاز، ثم مضى في الكتاب يتحدث عن الإعجاز ويذكر أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المعجز بنظمه وتأليفه، لأنه نزل باللسان العربي الذي يتأتى فيه وجوه الفصاحة، ثم يفتح فصلاً لبيان وجوه الإعجاز القرآني في رأيه ورأى الأشاعرة، وقبل أن يتحدث عن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن يعقد فصلاً^(٤) يتحدث فيه عن وجوه البديع ليرى هل يمكن تعليل الإعجاز القرآني بها أو لا؟ ثم يتحدث عن الاستعارة، ثم عرض للإرداف، ثم ذكر التشبيه،

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٤.

(٢) وفيات الأعيان ٤٠٠/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٩٠/٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ الحلبي ١٩٥٧.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ٢١٤، ٢١٥ تحقيق خفاجي ط ١ صبيح ١٣٧٠ هـ.

ثم عاد إلى الاستعارة ثم ذكر الغلو فالمماثلة، ويذكر المطابقة، ويتحدث عن الجنس، ثم يذكر المقابلة وضرباً آخر يسميه "الموازنة"، ويجعل من البديع "المساواة" ويتحدث عن الإشارة ثم يجمع المبالغة مع الغلو، ثم ذكر الإيغال والتوشيح ورد العجز على الصدر، وصحة التقسيم وصحة التفسير والتكميل والتتميم والترصيع.

وذكر من البديع "الكناية والتعريض" والعكس والتبديل والالتفات، والتذييل والاستطراد والتكرار، وتأکید المدح بما يشبه الذم، ويذكر أن وجوه البديع كثيرة جداً وقد اكتفى ببعضها.

ويرى الباقلاني أن هذه الألوان لا تتفرد وحدها بإبراز عناصر الإعجاز في القرآن الكريم، ولا بإبراز محاسن الكلام الفنى الجميل، ولكن هذا لا يمنع أنها من أبواب البراعة وأن القرآن الكريم لا يخلو منها.

ثم عقد فصلاً بعنوان "وصف وجوه البلاغة" ذكر فيه الألوان البلاغية التي ذكرها الرماني، ورفض أن تقوم هذه الوجوه وحدها بإبراز عناصر الإعجاز في القرآن الكريم أو في الكلام الفنى بوجه عام، ويرى أنه لابد أن يكون مضموماً إليها أمور أخرى يشتمل عليها النظم أو العبارة، ومن ثم فقد لفت أنظار العلماء إلى بيان تلك الأمور التي يشتمل عليها النظم.

ولكن الباقلاني لم يستطيع الكشف عن تلك الأمور وعن سببها، فقد اعتمد عليها وعلى ألوان البديع وأيضاً وجوه البلاغة في الكشف عن جمال النظم، ولكن جاءت المقاييس البلاغية بارزة عنده، إلا أنه لفت أنظار العلماء بقوة إلى البحث عن منشأ الجمال في النظم القرآنى،

وجمال الكلام بوجه عام، كما نقل بحوث النقد من النقد الذاتى، والموضوعى الجزئى، إلى دائرة النقد الشامل العام، حيث يحكم على قصيدة من قصائد الشاعر ثم على الديوان كله أو في جميع شعره فيقول فى ابن المعتز مثلاً بعد أن ذكر له أبياتاً : فانظر فى القصيدة كلها، ثم فى جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر.^(١) وقد ظهرت آثار الجهود التي بذلها الخطابى والباقلانى في البحث في أساس نظرية النظم عند :

القاضى عبد الجبار ت ٤١٥هـ

هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمدانى الاسترأبادى شيخ الاعتزال صاحب التصانيف الكثيرة في طريقهم وفى أصول الفقه^(٢)، ومن مصنفاته "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" وفى الجزء السادس عشر منه عقد فصلاً بعنوان "فى بيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض" عرض فيه رأى شيخه أبى هاشم الجبائى موافقاً إياه وهو إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار الأمرين، ومقياس الفصاحة هو الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة لكاتب أو شاعر أو خطيب.

ثم عقد فصلاً^(٣) وضح فيه رأيه في الوجه الذي له يقع "التفاضل في فصاحة الكلام" تناول فيه أجزاء الكلام، وأدلى برأيه في ذلك، فتكون

(١) إعجاز القرآن ص ٢١٩.

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢/٣، ٢٠٢، ٢٠٣ تحقيق لجنة إحياء التراث بيروت.

(٣) المغنى في أبواب التوحيد والعدل أملاه القاضى عبد الجبار ١٦/١٩٧ : ١٩٩، ٢٠١، ٢٩٠، تحقيق أمين الخولى نشر وزارة الثقافة دار الكتب.

الكلمة فصيحة بملائمتها لجاراتها وتعلقها بأخواتها وارتباطها بهم ووقوعها في موقعها التي لا ترضى به بدلاً.

وأما المعانى فنرى أنها لا تصلح أن تكون مقياساً للفصاحة، وإن كان لابد منها، وإنما تظهر ميزة الكلام في جزئه الثالث الذي هو ضمُّ الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة، وهذه تكون بالتقديم أو التأخير الذي يختص به الموقع أو الحركات التي تختص بالإعراب.

وبهذا يكون الامام عبد الجبار هو صاحب الإشارة إلى نظرية النظم، إلا أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني شرح هذه النظرية، وقررها، وصورها ودلل عليها ودافع عنها.

وجهد عبد الجبار قد أفاد البلاغة العربية، إذ كشف عن الأسس التي قامت عليها نظرية النظم، التي كان لها أثر خطير في ازدهار البلاغة العربية.

وكان من المعاصرين للشيخ عبد الجبار تلميذه الذي قام ببحث قيم حول مجازات القرآن الكريم أعاد به للصورة البيانية بهاءها ورونقها، ألا وهو:

الشريف الرضى ت ٤٠٦ هـ

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الحسينى الموسوى البغدادي الشيعى الشاعر المفلق، له ديوان في أربع مجلدات، ألف كتابه القيم "تلخيص البيان في مجازات القرآن"^(١) تناول فيه مجاز القرآن واستعاراته وبين سر الجمال فيها، وأعاد للصورة البيانية

(١) شذرات الذهب ٣/ ١٨٢ : ١٨٤.

رونقها، ويعنى بالمجازات : التي تقابل الحقيقة وليس مذهب العرب في كلامها كما وضع أبو عبيدة.

وتحدث عن النظم القرآنى وبراعته في اختيار الكلمات ووضعها في مكانها اللائق بها، وأعطى أمثلة لذلك في القرآن الكريم.

وتحدث عن أسلوب الحذف فى أثناء حديثه عن الاستعارة، ولا ينظر إليها وحدها في بيان جمال الآية، إنما ينظر إلى الكلمات الأخرى التي تشتمل عليها، وهو لا ينسى أن يوازن بين الاستعارة والحقيقة كما فعل الرماني وأبو هلال قبله.

وعرض لأسلوب المشاكلة، ويسميه المقابلة بين الألفاظ، ويجعله من الاستعارة، ويعرض لأسلوب الكناية، واختلط عنده المجاز المرسل بالاستعارة، ويقول عن الألفاظ: "إن الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل في تحسين معارضها وتنسيق مطالعها".^(١)

ويقبل القرن الخامس الهجرى وتزدهر الدراسات البلاغية ازدهاراً عظيماً فنرى مناهج ثلاثة مختلفة: الأول يقوم به ابن رشيق القيروانى، والثانى ابن سنان الخفاجى، والثالث عبد القاهر الجرجانى والزمخشري، وبذلك تصل البلاغة إلى قمة الازدهار وسيوضح ذلك في الحديث عن مؤلفاتهم الخاصة بالبلاغة والنقد.

(١) تلخيص البيان في معجرات القرآن ص ٣٣٠ للشيخ الرضى تحقيق محمد عبد العنى حسن.

ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ

هو الحسن بن رشيق القيرواني، ألف كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده" و"قراضة الذهب" وديوان شعر جمعه الدكتور عبد الرحمن ياغي وغير ذلك كثير.^(١)

واستهل كتاب "العمدة" ببيان سبب تأليفه له، فقد وجد الشعر أكبر علوم العرب، ووجد الناس مختلفين فيه، فجمع أحسن ما قاله كل واحد منهم وضمنه هذا الكتاب.

وبدأ الكتاب بمقدمة طويلة عن فضل الشعر، ولا يغض ذلك من قيمة النثر، فقد جاء القرآن منشوراً، وجعله ذلك أظهر برهان لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام.

كما تعرض لموقف النقاد من الشعراء وتكسبهم بالشعر وأول من فعل هذا، واستطرد الحديث عن القدماء والمحدثين من الشعراء وآراء النقاد فيهم، ثم تكلم عن حد الشعر وبنيته مستفيداً من كل ما كتبه السابقون.

ثم يرسم منهجاً يسير عليه الأدباء والكتاب والشعراء وينتقل إلى المطبوع والمصنوع في الشعر والأوزان والقوافي وما يتصل بعمل الشعر.^(٢)

(١) انظر : الأعلام ١٩٠/٢.

(٢) العمدة لابن رشيق ١٣٤/١ - ١٨٩ تحقيق محي الدين ط ٢ ١٩٥٥ نشر التجارية.

ويعقد للبلاغة بابا يحشد فيه ما جاء في البيان والتبيين للجاحظ كما يذكر أقوال العلماء قبل الجاحظ وبعده، ويفتح بابا للإيجاز ويتكلم عن البيان، وعرض "لنظم" واعتمد فيه على الجاحظ، وينتقل إلى الحديث عن "المخترع والبدیع" في الشعر، والبدیع عنده ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، تحدث عن المجاز، وهو عنده مختلط بالمجاز المرسل والمجاز العقلي والاستعارة والتشبيه والكناية، وأخرج البلاغيون بعده التشبيه من المجاز ما عدا ابن الأثير، ويعقد بابا للاستعارة ويعرض للتشبيه ويصل إلى باب الإشارة^(١) وهي عنده من غرائب الشعر وملحه، ومن أنواعها : التعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز والتورية، ومن الإشارات عنده اللمحة والغز واللحن والتعمية والحذف، والتفخيم والإيماء.

لقد درس ابن رشيقي أبواب البلاغة وألوان البديع، ومن الملاحظ أنها دارت حول المحسنات التي استنبطت من محاسن الشعر العربي وعيوبه وهي صورة حية لما وصلت إليه الدراسات البلاغية التي توجهها بالجهد الكبير والدراسة الواعية عبد القاهر الجرجاني.

ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦هـ

هو الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي له ديوان شعر مطبوع و"سر الفصاحة" وهو مطبوع أيضاً.^(٢)

(١) العمدة : ٣٠٢/١ - ٣١٢.

(٢) الاعلام للزركلي ١٢٢/٤ دار العلم للملايين.

وكان سبب تأليفه لسر الفصاحة أنه أراد أن يوضحها ويقطع دابر الخلاف حولها، ويرى أن فائدة معرفة الفصاحة ومعرفة نظم الكلام على اختلاف ضروبه وفنونه شئ مهم لمن يبحث عن وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ومهم أيضاً لمن يعتقد أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم كان بالصرفة حتى يستطيع أن يقطع أن فصاحة القرآن الكريم كانت في مقدور العرب ومن جنس فصاحتهم.^(١)

ويمضى في المقدمة ويذكر أنه سيقدم الكلام عن الفصاحة بنبذ من أحكام الأصوات وأحوال الحروف في مخارجها وتأليفها وحال اللغة العربية وما فيها من المهمل والمستعمل، وكيف نشأت، ثم يشير إلى جهود المتكلمين في دراسة الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام وما هو، وأنه سيضيف إليه كلاماً في مخارج الحروف وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها مما كتبه النحاة، ثم يحقق ما أشار إليه فيفتح فصلاً للأصوات، وآخر للحروف، ثم فصلاً في الكلمة ويتبعه بفصل في اللغة حتى إذا انتهى من هذه المقدمات تحدث عن الفصاحة، ويذكر الفرق بينها وبين البلاغة، فيجعل الفصاحة مقصورة على الألفاظ، والبلاغة وصفا للألفاظ مع المعاني وينتهي إلى أن كل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً^(٢).

ثم ذكر حدوداً للبلاغة نقلها من البيان والتبيين ومن الصناعتين، وقال عنها : إنها كالرسوم والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة، ثم تكلم عن شرف الفصاحة وعظم قدر البيان والبلاغة كما فعل السابقون.

(١) انظر : في مقدمة سر الفصاحة لاسن الخفاجي تحقيق الصعدي - صبيح سنة ١٩٥٣ م.

(٢) المرحع السابق ٥٩ - ٦٥ وما بعدها.

ثم عاد إلى الحديث عن الفصاحة، وقرر أنها نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين: فالأول ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها، والثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض وهو "فصاحة الكلام".

وناقش قدامة بن جعفر في رأيه من أن موضوع الكلام هو المعاني، وناقش الرمانى فيما ذهب إليه من أن التأليف على ثلاثة أضرب.^(١)

ويرى الخفاجى أن ما ذهب إليه الرمانى غير صحيح والقسمة فاسدة، ويمضى في مناقشته له على أساس أن الفصاحة وصف للكلمة من حيث ذاتها، وهو أساس فاسد، ونرى الشيخ عبد القاهر الجرجانى يطيل الكلام حول بيان وجه فسادها في كتابه دلائل الإعجاز.

وقد تعرض ابن سنان كغيره للاستعارة، وذكر لها شواهد من القرآن الكريم قد ذكرها الرمانى وتحدث عن الاعتراض أو التثمين أو الإيغال، وعن وضع الألفاظ في موضعها وجعل من هذا الجنس حسن الكناية، وجعل من المناسبة بين الألفاظ في الصيغ السجع والازدواج، وعرف السجع ويوصى الكتاب بالألا تكون الرسائل كلها مسجوعة وينتقل إلى تناسب الألفاظ من طريق المعنى.^(٢)

(١) انظر سر الفصاحة ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١١٩.

(٢) المرجع السابق ٢٣٣ - ٢٧٥.

وكان المنتظر أن يأتي ابن سنان بجديد لمنهجه ودراسته حول الألفاظ منفردة ثم مجتمعة في المعاني، ولكن كل الذي أضافه إلى التراث البلاغي فيما يبدو لي حسن التعليل، ولا ينكر أحد أن ابن سنان حلل ونقد الشواهد نقداً يدل على ذوق أصيل، ولكنه استغل جهد الأمدى والجرجاني والصولي وغيرهم وبنى عليه فجاء نقده محموداً وجهده مشكوراً.

ونأتى إلى معاصره الذي سأوضح للقارئ منهجه الذي سار عليه ليكون الطريق واضحاً أمام دارس البلاغة العربية.

عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، فارسي الأصل جرجاني الدار، متكلم على مذهب الأشعرى، وفقهه شافعي^(١). صنف كتباً كثيرة أشهرها : أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.

أولاً : أسرار البلاغة :

استهله بفاتحة تحدث فيها عن البيان أو التعبير الفني الجميل وكيف يتسنى للناقد أن يحكم على الشعراء وأشعرهم، وأقلق الشيخ عبد القاهر حيف النقد على النتاج الأدبي وسبب ذلك اختلافهم على المقياس الصحيح الذي يقاس به الكلام البليغ: أهو اللفظ أو المعنى أو كلاهما معا ؟ فقرر الشيخ أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألقت على ضرب خاص من التأليف وترتيب معلوم، وأنكر أن يكون للفظ مزية في ذاته^(٢) ثم مضى يطبق رأيه على الألوان البلاغية

(١) انظر : شذرات الذهب ٣/٣٤٠.

(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص ٣ تصحيح محمد رشيد رضا مطبعة الترقى ١٣١٩هـ.

والمحسنات البديعية التي استنبطت من محاسن الكلام، ويرى أن الحسن والقبح في جميع ألوان البديع لا يعود إلى اللفظ والجرس، ولكنه يعود إلى شئ يؤكد المعنى في ذهن السامع ويقويه، ويبداً بالحقيقة والمجاز ويتبع ذلك في التشبيه والتمثيل ثم الاستعارة، وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة، ولكنه بدأ بها، ولعله بذلك أراد أن ينبه على فضلها وعلو مكانتها، ويستفيض في أمثلتها، وأقسامها، ثم يتأنق في بيان جمال المعانى التي تحدثها الألفاظ عند الضم بطريقة مخصوصة.

ثم وضع الأسس التي ينبغى أن يقوم عليها النقد النزيه، وكان ذلك على أساس من البلاغة فتحدث عن الاستعارة بجميع أقسامها والتشبيه والتمثيل وأتى لذلك بالأمثلة الكثيرة التي شرحها وبين ما فيها من جمال، ثم رأى أن يتكلم عن السرقات، ولكنه أجل البحث فيها حتى يذكر المعانى وهى عنده قسمان : عقلى وتخيلى ويوضح ذلك بالأمثلة.

وينتقل إلى الحديث عن الأخذ والسرقة والاستعداد والاستعانة^(١).

ثم يأخذ في البحث عن حد الحقيقة والمجاز، وفى نهاية الكتاب يعرض لما يعرف: بـ "المجاز بالحذف" وبهذا يكون قد تناول الألوان البلاغية، وكما يقول كانت معروفة مجهولة، فحلها بعد شرحها ووضح مراميها وأكمل قواعدها وأخرجها في ثوب قشيب.

ثانياً : دلائل الإعجاز :

واستدل في هذا الكتاب على أن القرآن معجز في نفسه، وأن إعجازه في نظمه وتأليفه، ورفض الشيخ الجرجاني أن

(١) أسرار البلاغة ٢٧٤ - ٢٨٣.

يكون المعجز في الكلمة المفردة، كما رفض أن يكون في معانى الكلمة المفردة التي هى لها بوضع اللغة، ولم يرض أن يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات، ولا أن يكون في كلام يجعلون له مقاطع وفواصل، ولا يصح أن يكون الوصف الذي يكون به الإعجاز في سلامة الحروف مما يثقل على اللسان، أو أن يكون في الاستعارة ومن أجل ذلك لم يبق إلا أن يكون القرآن معجزاً في النظم والتأليف.

ونظرية النظم التي خصص عبد القاهر الجرجاني لها كتابه دلائل الإعجاز أراد بها أن يرفع عن علم البيان الضيم الذي لحقه، ويصح خطأ الناس فيه، فقد صار أفصحهم إذا سمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها معنى سوى الإطناب في القول.

أحس عبد القاهر الجرجاني بجمال النظم العربي وهزته بلاغته فبين أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاماً في أى غرض فإنه يبدأ بترتيب المعانى في نفسه أولاً، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ، وعلى ذلك فالذى يطلق عليه النظم : هو ترتيب المعانى في النفس، لا ترتيب الألفاظ في النطق، لأن النظم الذي يريده ويجعله مكان المزية لا يتأتى إلا بالفكر والروية.

أما الشطر الثانى من النظرية فهو : المعانى التي يتعلق بها الفكر ويرتبها في النفس، أهى معانى الكلمات في أنفسها أو معانى النحو؟ أو هما معا؟

وواضح أن الشيخ يلاحظ بدقة كل فرق في المعنى تحدثه الألفاظ إذا ضم بعضها إلى بعض، وأن الكلمة تكون فصيحة بمقدار تلاؤمها مع جاراتها، وأن نظم الكلام بعضه مع بعض يحدث صورة، هذه الصورة هي التي تحكم بمقتضاها على النتاج الأدبي.

ثم قام الشيخ بتطبيقات رائعة على نظريته أثرت البلاغة العربية وعمقت النظرة إلى الأدب العربي^(١). وقف الشيخ يتأمل كل تصرف يحدثه الأديب في النظم من تقديم وتأخير، ونفي وإثبات، وتعريف وتكثير، وذكر وحذف، وإنشاء وخبر، وإيجاز وإطناب، وفصل ووصل، وتقيد وإطلاق، فكل تصرف في النظم لابد أن يحدث بلاغة في الكلام بشرط أن يكون هذا التصرف تجيزه القواعد النحوية المشهورة، وهذه التصرفات أو كما يقول الشيخ عبد القاهر : معاني النحو لا نهاية لها.

ولقد أثرت دراسة "النظم" علماً من علوم البلاغة يسمى علم "المعاني" كما حلا للبلاغيين المتأخرين أن يطلقوا على تلك الدراسة القيمة، والبلاغة العربية تحتاج إلى تطبيق نظرية النظم والوقوف على التصرفات التي يحدثها الأديب في نظمته، وأيضاً هي في أشد الحاجة إلى الوقوف على عناصر الإعجاز في النظم القرآني، وبهذا العمل تثري البلاغة وتزدهر وهذا ما نراه عند الزمخشري.

(١) انظر : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الحرجاني ص ٣٨، ٢٧٠ : ٢٨٢. تحقيق المراغي - المكتبة العربية ومطبتها.

الزمخشري ت ٥٣٨هـ.

وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، ولد بزمخشري وهي قرية من قرى خوارزم، كان واسع العلم، متقناً في كل علم معتزلياً قويا في مذهبه مجاهراً به حنفياً، وصنف التصانيف البديعة منها "الكشاف" في تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله.^(١)

ابتدأ الزمخشري حيث انتهى السابقون، إذ رأى بثاقب فكره أن أسرار النظم القرآني والنكت البلاغية التي يشتملها لا يبرزها إلا علم النظم، ومن أجل ذلك ألف كتابه وسماه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل" وطبق نظرية الشيخ عبد القاهر تطبيقاً عملياً على جميع سور القرآن الكريم موضحاً أسرار النظم القرآني ولطائفه الدقيقة.

ونستطيع أن نقول إن الزمخشري لم يكتب كتاباً مستقلة خاصة بالبلاغة، أو بيان إعجاز القرآن الكريم، بل أخذ يكشف عن الأسرار والنكت والدقائق البلاغية التي يتضمنها نظمه المعجز، وذلك أثناء تفسير القرآن الكريم.

والزمخشري - وإن ذكر علمي المعاني والبيان - ليس هو أول من ابتدع تقسيم علوم البلاغة إلى معان وبيان وبديع، لأننا وجدناه لم يلتزم بهذا الفصل في تفسيره وبيانه للأوجه البلاغية في كثير من آيات القرآن الكريم، بل كان أحياناً يذكر ألواناً هي من صميم البيان ثم يعقب عليها بقوله: "وهذا من الصنعة

(١) وفيات الأعيان ٢٥٤/٤.

البديعية"^(١). مما يدل على أن حدود كل علم من علوم البلاغة لم يتضح في ذهنه الوضوح الكافي حتى يلتزمها في التطبيق، ولا يعدو الأمر أن يكون مجرد تسمية جرت على لسانه، وهذا لا يكفي للحكم بإسناد ابتداع التقسيم إلى مؤلف أو عالم معين، ما لم ينعكس ذلك على أسلوب تناوله لمسائل كل علم، وإنما الذى ابتدع التقسيم فكراً وتطبيقاً هو السكاكى فى كتابه "مفتاح العلوم".

وبانتهاء حديثى عن الزمخشري أكون قد طويت صفحة مشرقة للبلاغة التعليمية التى وضعها الشيخ عبد القاهر الجرجانى والشيخ الزمخشري فى مسارها الطبيعى والتى تبحث عن عناصر الجمال فى الأدب العربى وعناصر الإعجاز فى القرآن الكريم.

وبعد هذين العالمين - عبد القاهر الجرجانى، الزمخشري - قام بتدريس البلاغة وعلومها طائفة من العلماء تربوا تربية علمية منطقية محددة، كان اهتمامهم يدور حول تلخيص بلاغة الشيخ عبد القاهر، وأحياناً يضيفون إليها شيئاً من بلاغة الزمخشري، ورسوموا لأنفسهم منهجاً لا يحيدون عنه، يهتم هذا المنهج بتحرير القواعد وضبطها، وتقسيمها وتفريعها، ووضع الحدود لها، وصبغوا ما كتبوه عن البلاغة بثقافتهم من الفلسفة والمنطق وأصول الفقه.

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل فى وجوه التأويل ٥٣/١ للزمخشري مطبعة مصطفى البابى ط ١٩٧٢م.

ومن حق طالب البلاغة ألا يضل بين مجادلات منطقية تنسيه غرضه الأصلي من تعلم البلاغة، وهو تكوين الفنية الأدبية التي تمكنه من تذوق عناصر الجمال في الأدب العربي بعامة.

والذى حدث أن التلخيصات البلاغية التي صنفوها كان يشوبها الغموض، فكثرت عليها الشروح والحواشي أو التقريرات حتى أصبحت دراساتهم في خدمة كتب البلاغة لا في خدمة البلاغة، وبهذا أصبحت القواعد البلاغية لا تربي ذوقاً ولا ترهف حساً فقد أصابها الجمود.

ولعل أول من قام بتلخيص بلاغة عبد القاهر والزمخشري هو فخر الدين الرازي.

فخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ

والرازي : هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الرازي الخطيب الشافعي له تصانيف مفيدة في فنون عديدة^(١).

والذى يهمنا منها كتابه : "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" استلهه بالثناء على علم البيان خاصة، ثم نوّه بالشيخ عبد القاهر وكتابه الدلائل، والأسرار، وأشاد به في استنباط أصول علم البيان، لكنه يرى أن الشيخ عبد القاهر أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب، فوضح أن الكتاب اختصار لما كتبه الشيخ عبد القاهر، في صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية، وتتحصر فروعها وأقسامها حصراً دقيقاً، وقد رتب كتابه على مقدمة وجملتين^(٢).

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨١ ، ٣٨٤.

(٢) انظر : تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها من ص ٣٨٩ : ٤٠٧.

ويتضح من الكتاب فى ذكره للقواعد البلاغية وجمله وأبوابه وفصوله وأطرافه وأركانه كيف وضعت بلاغة الشيخ عبد القاهر والزمخشري فى وسط تلك الأبواب والفصول والتقسيمات والتفريعات والحديث المنطقى مما مهد الطريق لمن أتوا بعده إلى وضع البلاغة فى حدود وأبواب وفصول محددة تحديداً علمياً منطقياً منقطع النظير، وشيخ هذه الطريقة إلى يومنا هذا هو أبو يعقوب السكاكى.

أبو يعقوب السكاكى ت ٦٢٦هـ

هو يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على أبو يعقوب السكاكى سراج الدين الخوارزمى إمام فى النحو والتصريف والمعانى والبيان والاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر فى علم الكلام وسائر الفنون، وله كتاب "مفتاح العلوم" الذى يعد غرة مصنفاته.^(١)

ويذكر من أسباب تأليف كتاب "مفتاح العلوم" التمكن من فهم مراد الله فى كلامه، ثم إدراك إعجاز القرآن، ووجه إعجازه هو بلاغته وفصاحته، ولا يمكن إدراكه إلا بالذوق. وطريق تربية الذوق عنده طول ممارسة علمى المعانى والبيان لمن رزقه الله طبعاً سليماً.

لم يقتصر عمل السكاكى على ما فى كتب الجرجانى "الدلائل والأسرار" بل استدرك مافات عبد القاهر، وتمم ما بدأه من تمييز الأنواع الملتبسة، وتقرير القواعد التى جعلت من البلاغة علماً ثابت الأصول، بعد أن رتب المسائل وبوبها تبويباً جعلها أقرب إلى الدقة

(١) الأعلام ٨/٢٢٢.

والإحكام، والملاحظ أنه حاط بحوثها بالجدل والفروض الخيالية، واستند إلى العقل في استنباط القواعد التي كان يجب استمدادها من الشواهد العربية المختارة.

ويكفي القول بأن السكاكي قد جعلهما - الدلائل والإعجاز - الأساس الذي أرسى عليه قواعد القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" في البلاغة، وذلك بعد الاستفادة من التلخيص الذي وضعه "الرازي" ٦٠٦ هـ على كتابي الجرجاني والمسمى "نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز".^(١)

ويذكر الأستاذ نعيم زرزور^(٣) أن عمل السكاكي أشمل، فقد أحاط بكثير من قواعد البلاغة المبعثرة في أمهات الكتب، وبعد الترتيب والتبويب فصل فنون البيان، وذلك لسعة اطلاعه وتمكنه من علوم المنطق والفلسفة واهتمامه بهما إلى حد جعل أسلوبه جافاً، فاستغلق فهمه في أكثر الأحيان على غير المتعمقين، وجعل الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول : في علم الصرف، القسم الثاني : في علم النحو، والقسم الثالث : في علمي المعاني والبيان.

وفي القسم الثالث، ينتهي السكاكي من تلخيصه لعلمي البلاغة : المعاني والبيان، وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية، وما يتبعهما من المحسنات المعنوية واللفظية، وهو وإن كان قد تم له ما أراد من ترتيب المسائل البلاغية ترتيباً قائماً على أساس منطقي، واستوفى حدودها وأقسامها وتعريفها

(١)، (٣) انظر : مفتاح العلوم للسكاكي ص ج، د ضبط وشرح الأستاذ / نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت.

حتى أصبحت تضارع العلوم الأخرى كالنحو والصرف، إلا أنه بطريقة هذه يعتبر المسئول الأول عن تحجر البلاغة، وتعقيدها بما أشاع فيها من كثرة التقسيمات والتفريعات ويمازج فيها من علوم المنطق والفلسفة.

وممن ساروا في طريق التلخيص :

ابن الزمكاني ت ٦٥١ هـ :

هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف كمال الدين أبو المكارم، كان بارزاً في عدة فنون^(١) وأهم كتبه البلاغية "التيبان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" وقد استهله بمقدمة أشاد فيها بعلم البيان الذي فيه القليل من المصنفات - كما يقول -^(٢) ومن أجمعها كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ويتضح منهج ابن الزمكاني في كتابه، فقد جعله عرضاً وتلخيصاً لآراء الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه الدلائل، ترديداً لأمثله مع ترتيب وتهذيب.

ويقول إنه رتب الكتاب على سوابق، ومقاصد، ولواحق، أما السوابق^(٣) فقد وزعها على ثلاث مقدمات : المقدمة الأولى في فضل علم البيان، والمقدمة الثانية في بيان حصر مواقع الغلط في اللفظ، والمقدمة الثالثة في طريق تحصيله، وأما المقاصد فتجمعها ثلاثة أركان،

(١) الأعلام ١٧٦/٤.

(٢) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ص ٣٠ تحقيق د/ أحمد مطلوب، د/ حديحة الحديني مطبعة العاني بغداد ط ١٩٦٤ م.

(٣) التبيان ص ٢١ - ٣٣.

تحدث في الركن الأول منها عن الدلالات الإفرادية بادئاً بالحقيقة والمجاز، ويجعل المجاز على ثلاثة أقسام : الكناية والاستعارة والتمثيل على الترتيب وينتقل إلى الركن الثاني، ويجعله في مراعاة أحوال التأليف بين المفردات والجمل، حتى تكون أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط.

ويصل إلى الركن الثالث^(١) ويتحدث فيه عن معرفة أحوال اللفظ وأسماء أصنافه في علم البديع ويذكر فيه ستة وعشرين لوناً من ألوان البديع. ويتكلم في الواحق عن بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم، ويبطل أن يكون العجز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة، أو أن الإعجاز وقع بالنسبة إلى العوارض من الحركات والتأليف فقط، أو أنه وقع بالنسبة إلى المعاني فقط، أو أنه بالصرفة، ويقول : إذا بان بطلان هذه الآراء الأربعة تعين أن يكون الإعجاز راجعاً إلى توخي معاني النحو وأحكامه في النظم.

ثم يرد بعض الشبه التي أثارها المخالفون ضد نظرية النظم على نحو ما فعل الإمام عبد القاهر، وبذلك ينتهي الكتاب.

تلك كانت تلخيصات البلاغة العربية التي ازدهرت على يدي الإمامين عبد القاهر والزمخشري، ولم يكتب الذبوع والانتشار إلا لواحد منها وهو القسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، وذلك باقبال العلماء عليه شرحاً وتلخيصاً ونظماً، وممن قام بتلخيصه بدر الدين بن مالك والخطيب القزويني.

(١) التبيان ص ١٦٣ : ١٩٠.

أولاً : بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ

هو بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك شيخ العربية وقُدوة أرباب المعانى والبيان والبديع والنحو والعروض والمنطق وأصول الفقه، وله مؤلفات قيمة وشروح، فشرح ألفية والده ولاميته فى الصرف، وله "المصباح فى المعانى والبيان والبديع"^(١)

ولعله أول من لخص القسم الثالث من "مفتاح العلوم" للسكاكى، فى ذلك الكتاب الذى استهله بالإشادة بعلم البلاغة والفصاحة وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فى علم المعانى، والثانى: علم البيان، والثالث: فى علم البديع، ومضى على طريق السكاكى يلخص ما قاله، ويخفف أعباءه المنطقية والفلسفية والكلامية التى أودعها مقدمات الأقسام والفصول، ونقل الحديث عن البلاغة فى أول كتابه مخالفاً بذلك السكاكى الذى تحدث عنها بعد الفراغ من علمى المعانى والبيان، وتابع السكاكى فى رد الألوان البديعية إلى الفصاحة اللفظية والمعنوية، إلا أنه خالفه فأطلق عليها اسم البديع، وبصنيعه هذا تم تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة من معان وبيان وبديع، كما زاد على السكاكى فى ذكر المحسنات البديعية وجعل أنواعاً منها تعود إلى الفصاحة اللفظية، وبانتهاء البديع وحديثه عنه ينتهى الكتاب.

(١) شذرات الذهب ٥/٣٩٨، ٣٩٩.

ثانياً : الخطيب القزويني ت ٧٣٩هـ

هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي العلامة^(١) أشهر مؤلفاته "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح في المعاني والبيان" وتدل مؤلفات الخطيب في البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات في البلاغة وفي مقدمتها أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني "ومفتاح العلوم" للسكاكي.

"وتلخيص المفتاح" عبارة عن مختصر صغير للمفتاح في البلاغة. أو للقسم الثالث منه، ولخص فيه ذلك الكتاب القيم، وقدم فيه وآخر وحذف واختصر، وبين فيه بعض آرائه التي لم يرضها علماء هذه الفنون، وتأثره بعبد القاهر الجرجاني مرجعه إلى المفتاح نفسه الذي اعتمد فيه السكاكي على عبد القاهر إلى حد بعيد.

وعلى "تلخيص المفتاح للخطيب" كثير من الشروح والحواشي والتقارير مما يدل على مدى شهرته العلمية عند الباحثين، ولا يزال منهج الخطيب في البلاغة وفي تلخيصه بالذات هو المنهج العلمي في علوم البلاغة إلى عصرنا الحاضر.^(٢)

ثم ألف الخطيب كتابه "الإيضاح في البلاغة" على ترتيب التلخيص وبسط القول فيه ليكون كالشرح له، فأوضح مواضعه المشككة، وفصل

(١) تدرجات الذهب ١٢٣/٦

(٢) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١١/١ : ١٦ شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المعص خفاجي ط ٢ الكليات الأزهرية. القاهرة.

معانيه المجملّة، واعتمد على الدلائل والأسرار والمفتاح وغير هذه المؤلفات في بحوثه ودراساته فيه، ويشير الخطيب إلى هذا في مقدمة كتابه الإيضاح.

وكتاب الإيضاح عمل جليل في البلاغة، لحسن ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه، وفي استيعابه واستقصائه وتحليله، وجمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع، وفي أسلوبه الأدبي وكثرة تطبيقاته الأدبية، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة في العصر الحاضر.

شروح التلخيص :

هذا وممن شرحوا كتاب "التلخيص" للخطيب القزويني أحمد بن علي ابن عبد الكافي بهاء الدين أبو حامد السبكي ت ٧٧٣هـ في كتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، ومسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني ت ٧٩٢هـ في كتابه "المطول" وله أيضاً مختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، وابن يعقوب المغربي "له مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، وجمعت هذه الثلاثة تحت عنوان "شروح التلخيص" في أربعة أجزاء وقد طبع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية الدسوقي على شرح السعد، هذا وقد بدأ في صلب الصفحة بشرح السعد، وثنى بمواهب الفتاح، وثالث بعروس الأفراح، وصدر الهامش بالإيضاح، وبعده حاشية الدسوقي.

ولما كانت هذه الشروح من أجلّ الشروح على تلخيص المفتاح فقد طبعت مرتبة ترتيباً بديعاً لم يسبق له نظير حيث جمعت كلها في صفحة واحدة مفصلاً بعضها عن بعض بجداول مع اتفاق أبحاثها.

هذا ولم تكن البلاغة السكاكية وحدها، بل كان يشاركها في ميدان البحث البلاغي دراسات أخرى - منذ عصر السكاكي - اتجهت اتجاهاً مغايراً لطريقته فأكثر من عرض الشواهد الأدبية وعقد الموازنات بينها، وعزفت عن المباحث المنطقية والفلسفية والكلامية إلى حد ما، ويمثل هذا الاتجاه ابن الأثير.

ابن الأثير ت ٦٣٧ هـ

في كتابه المشهور "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"

وابن الأثير هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين^(١) مهر في النحو واللغة وعلم البيان، حفظ شعر أبي تمام والبحترى والمتنبي، وأشهر مصنفاته كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وهو إحياء لمنهج ابن سنان الخفاجي^(٢) والدافع لتأليفه هذا الكتاب هو أهمية علم البيان لتأليف النظم والنثر الذي يعد بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام.

ولم يهتم الكتاب ببيان أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ويبدو أنها في نظر ابن الأثير مسألة مفروغ منها ومسلم بها، وإنما كانت عنايته منصرفة لبيان طرق تعلم صناعة الكتابة

(١) وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ : ٣٩٧.

(٢) انظر : ابن سنان الخفاجي ص ٩٧ من هذا البحث.

والشعر، والقرآن الكريم عنده هو المثل الأعلى الذى يجب أن يُحتذى ويتمرس به فى صناعة الكتابة، والكتاب أربعة أجزاء.

ولقد تأثر الكاتب بقدامة فى "تقد الشعر"، وبالأمدى فى كتابه "الموازنة"، وابن سنان فى "سر الفصاحة"، ولقد وزّع ابن الأثير مباحثه بين اللفظ والمعنى، وبنى الكتاب على مقدمة ومقالتين.

فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان، والمقالتان تشتملان على فروعه، فالأولى: فى الصناعة اللفظية، والثانية فى الصناعة المعنوية، ويقول: إن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم.^(١)

ويبدأ بالحديث عن المباحث التى تشتمل عليها المقدمة.^(٢) فيتحدث عن موضوع علم البيان وهو الفصاحة والبلاغة، ثم يبين آلات علم البيان وأدواته من معرفة علم النحو وعلم اللغة وأمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وما كتبه البلاغيون فى هذه الصناعة ثم يوضح رأيه فى صاحب هذه الصناعة، فيشترط فيه حفظ القرآن الكريم لما فيه من فوائد جمّة، فإذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذ الأساس والمرجع فى الاستفادة منه، ومن الأهمية بمكان وجود الطبع الذى إن لم يوجد فلا تغنى تلك الآلات شيئاً.^(٣)

(١) انظر : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ١/٣٧، ٣٨ تحقيق الدكتور بدوى

طبانه والحوفى ط ١ سنة ١٣٧٩م نهضة مصر.

(٢) المثل السائر ١/٢٩ : ٢٠٩.

(٣) تاريخ نشأة البلاغة العربية ٤٥٣ ، ٤٥٤ بتصرف.

ويتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية ويقسمها إلى قسمين: قسم في المعاني مجملاً، وقسم في الكلام مفصلاً، ويتحدث في القسم الأخير عن باقى موضوعات الكتاب، ويتضح من عرضه لموضوعات الكتاب أنه يجعل البيان شاملاً للمعاني والبديع، وكان يعاصره من كتّاب الإعجاز ابن أبى الاصبع المصرى.

ابن أبى الاصبع المصرى ت ٦٥٤ هـ

هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبى الاصبع المصرى، صنف كتاب "تحرير التحرير فى البديع" لم يصنف مثله.^(١) وبديع القرآن، أما المؤلف الأول فهو فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، وأما الثانى فقد اختصره من كتابه الأول ليكون خاصاً ببيان إعجاز القرآن.

ويرى ابن أبى الأصبع أن القرآن الكريم معجز بما فيه من المحسنات البديعية كما يتضح من عرضه لهذه الألوان فى كتابيه "تحرير التحرير" و"بديع القرآن" مخالفاً بذلك الإمامين الباقلانى وعبد القاهر الجرجانى كما سبق إيضاحه.

ويأتينا الإمام الحجة :

ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلى،^(٢) وهو من أعلام عصره فى الفقه

(١) شذرات الذهب ٢٦٥/٥، ٢٦٦.

(٢) شذرات الذهب ١٦٨/٦ : ١٧١.

والحديث والعلم بالمذاهب والنحل، وله مصنفات كثيرة ونسب إليه في
البلاغة "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" (١) .

وقد استهله بمقدمة أشاد فيها بفضل القرآن، وأن الله جعله حجة
لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأنه اعجز العرب ببلاغته وفصاحته، وقد
أودع في كتابه أصولاً من علم البيان نقلها عن كتب علماء علم البيان
التي اطلع عليها، وأضاف إليها فوائد نقلها عن ألسنة أكابر العلماء، مع
ما قام به من جهد في إظهار مهمل وتفصيل مجمل ؛ إحياء لعلم البيان
المطلع على نكت نظم القرآن.

وكان يعاصره :

العلوى اليمنى ت ٧٤٥ هـ

هو يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم الحسينى العلوى
الطالبى، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم فى اليمن، له مصنفات
مختلفة، ويروى أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام
عمره، ومن مؤلفاته فى البلاغة :

"الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" وهو
مطبوع فى وثلاثة أجزاء، و"الإيجاز لأسرار كتاب الطراز". (٢)

(١) وطبع هذا الكتاب طبعة أخيرة فى مكتبة الخانجى بتحقيق الدكتور زكريا سعيد على تحت
عنوان: مقدمة تفسير ابن النقيب فى علم البيان والمعاني والديع وإعجاز القرآن. للإمام أبى عبد
الله جمال الدين محمد ابن سليمان البلخى المقدسى الحمقى الشهير بابن النقيب والمتوفى
٦٩٨هـ والمطبوع بخطاً بعنوان : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لاسن قيم
الحوزية.

أقول : وفى الطبعة الحديثة دراسة جديدة يحسن الرجوع إليها.

(٢) انظر : الأعلام للزركلى ١٤٣/٨، ١٤٤٠.

وقد استهل الطراز بمقدمة أشاد فيها بعلم البيان لأنه المطلع على أسرار إعجاز القرآن، والباعث على تأليفه الكتاب : رغبة جماعة من إخوانه فى كتابة كتاب فى البلاغة يستتيرون به فى فهم الكشف للزمخشري، فألف العلوى لهم كتاب الطراز الذى رتبته على فنون ثلاثة: الفن الأول : يتضمن المقدمات، وهو تفسير علم البيان، ويقال له علم المعانى والبيان جميعاً.

والفن الثانى : يتضمن المقاصد، ويبدأ بالحديث عن الدلالات والمعانى، ويصل إلى المجاز، ويذكر تحت الاستعارة والكناية والتمثيل.

والفن الثالث : يتضمن التكميلات، وفيه تحدث عن فصاحة وبلاغة القرآن الكريم فى حروفه وألفاظه وتراكيبه، ثم طبق قواعد علم البيان وعلم المعانى وعلم البديع على الآية الكريمة :

"وَقُلْ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"^(١)

ثم أخذ يلخص وجوه النظم والأسرار المتعلقة بالبلاغة والفصاحة، ويمثل لها من القرآن الكريم، مؤكداً أنها جاءت فيه على أكمل وجه وأتمه، وأن القرآن فى أعلى طبقات الفصاحة، ثم انتقل إلى القول فى إعجازه وهما مسلكان أحدهما من جهة التحدى، وبيان تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بالقرآن، وهم نهاية الفصاحة والبلاغة، فعجزوا عن معارضته ولذلك فهو معجز والآخر الثانى : أن القرآن معجز من جهة العادة، وتقريره أن الإتيان يمثل كل واحدة من سور

(١) سورة هود الآية ٤٤ .

القرآن، فهو معجز مع توفر دواعيهم على إبطال أمره، فهو لا محالة من أبهر المعجزات، وهو معجز أيضاً لخروجه عن المألوف والمعتاد^(١).

ولقد استقى المؤلف مادة الكتاب، من مصادر كثيرة يظهر فيه بوضوح اتجاه ابن الأثير واتجاه الإمام الرازي مع السكاكي، لذلك كان الكتاب مزاجاً بين هذين الاتجاهين.

هذه كانت الدراسات التي اتجهت اتجاهها مغايراً للطريقة السكاكية، سواء كانت مغايرة لها مغايرة تامة كما اتضح عند ابن الأثير وابن أبي الإصبع وابن القيم الجوزية أو جاءت مزاجاً بين الاتجاهين كما يتضح من كتاب الطراز للعلوي.

لم تستطيع هذه الدراسات أن تستقل بدراسة البلاغة أو البديع، وقدّر للطريقة السكاكية أن تسيطر على الدراسات البلاغية، وتسير في طريق التلخيصات والشروح والحواشي والتقارير التي لا تفيد البلاغة شيئاً، وحتى البديع الذي رأيناه عند ابن أبي الإصبع سيطرت عليه هو الآخر البديعيات فحولته إلى مختصرات أشبه بالإشارات والرموز، ومن ثم كثرت عليه الشروح والحواشي التي ليست من البديع في شيء وظلت البلاغة والبديع تنوء بهذه الأعباء حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري^(٢).

(١) انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٣/٣٦٧ : ٣٨٦ راجعه وضبطه لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

(٢) ولقد كثرت الشروح والحواشي إلى القرن الثالث عشر الهجري، وحصرتها بعض الكتب التي كان لها تمام الفائدة في الشرح وهو كتاب "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" لعبد الرحيم العباسي ٩٦٣ هـ وهو من أربعة أجزاء حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد عالم الكتب بيروت.

وهذه الكتب التي عرضتها تعتبر من أهم الكتب التي تمثل تلك المناهج فيتميز القرن الرابع عشر الهجري بأنه مرحلة النهوض بالبلاغة حيث تحررت الأساليب البيانية من أثقال البديع بفضل النهضة الأدبية التي ازدهرت في أوائل هذا القرن، لكن مازالت الطريقة السكاكية مسيطرة على الدراسات البلاغية فتتخذ شكل شرح وحاشية وتقرير، فهذا الشيخ محمد الأنباري شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣١٢هـ يكتب تقريراً على المطول لسعد الدين وتقريراً على المختصر له، وحاشية على الرسالة البيانية للصبان.

والشيخ محمد البسيوني المتوفى سنة ١٣١٠هـ مؤلف (حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع) وقد التزم الطريقة السكاكية لكنه تحرر من المناقشات والاعتراضات والتقارير وسار على نهج الشيخ أحمد الحمالوي المتوفى سنة ١٣٥١هـ في (زهر الربيع) والأستاذ أحمد الهاشمي في (جواهر البلاغة) والأستاذ عاطف البرقوقي في تعليقه على التلخيص للقرويني وغيرها.

وقد تميزت هذه المؤلفات بالإكثار من الأمثلة، ولكنها لم تتعمق في بيان عناصر الجمال اللغوي لما أوردوا من أمثلة.^(١)

سيطرت البلاغة السكاكية على الرغم من النداءات المتكررة لإصلاح وتجديد البلاغة العربية، حتى كان الشيخ محمد عبده الذي رأى العودة بالدراسات البلاغية إلى عصرها المزدهر، عصر الإمام عبد

(١) انظر : نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفه ص ٤٨١ ط ١ سنة ١٩٧٨ دار الطباعة المحمدية.

القاهر الجرجاني فدرس كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار
البلاغة، ثم يأتى:

سيد قطب ت ١٩٦٦م بكتاب "التصوير الفنى فى القرآن"

فعرض فيه المناهج البلاغية ونقدها، وأظهر فكرة تجديد الدراسات
البلاغية، وكان الحافز له على تأليف الكتاب هى القاعدة الكبيرة للكتاب
وهى التصوير الفنى فى القرآن.^(١)

استهل المؤلف كتابه بالحديث عن سحر القرآن للعرب منذ نزوله،
ومنبع السحر فى القرآن هو جماله الفنى، وعرض لفهم السابقين له،
وأعجبه الزمخشري والإمام عبد القاهر الجرجاني وهذا من كتاب
الإعجاز وذلك من المفسرين.

وكتاب "التصوير الفنى فى القرآن" فيه خصائص مشتركة فى
التعبير عن جميع الأغراض سواء كان الغرض تبشيراً أو تحذيراً أو
قصة وقعت أو حادثاً سيقع أو دعوة للإيمان أو وصفاً للحياة الأخرى،
ويتحدث عن التصوير الفنى فيجعله الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن
الكريم فهو يعبر بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهنى والحالة النفسية،
وعن المشهد المنظور وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية ثم
يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، فإذا المعنى
الذهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا الطبيعة
البشرية مجسمة مرئية.

(١) التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب ص ٣٠، ٢٩ دار المعارف، وللمؤلف كتاب :
"مشاهد القيامة من القرآن" جمع المؤلف فيه "المشاهد" القيامة التى تتوافر فيها الصورة والحركة
والإيقاع، وهى على كثرتها حلت من تكرار المنظر، فكانت إعجازاً من الإعجاز.

ويطالب بالتوسع فى معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن، فهو تصوير باللون وبالحركة وبالتخييل والنغمة التى تقوم مقام اللون فى التمثيل، ويشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق فى إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان.

وواضح من هذا النقل أنه يرى أن وجه الإعجاز فى القرآن الكريم هو التصوير الفنى، ويتوسع فى مفهومه ليشمل القرآن كله.

ويمضى فى الكتاب موضحاً بلاغة التصوير الفنى فى القرآن ويقف أمام الحركة التى يسميها ظاهرة التخييل الحسى، وكذلك ظاهرة أخرى هى التجسيم للمعنويات المجردة وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم وهاتان ظاهرتان بارزتان فى التصوير الفنى فى القرآن^(١) وينتقل إلى الحديث عن التناسق الفنى^(٢)، ويقول إنه يبلغ الذروة فى تصوير القرآن وإنه ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما نبه إليه بعض الباحثين فى بلاغة القرآن، ومنها ما لم يحسه أحد منهم حتى الآن، والتناسق فى تأليف العبارات بتخير الألفاظ ثم نظمها فى نسق خاص تبلغ فيه الفصاحة أرقى درجاتها، والتناسب فى الانتقال من غرض إلى غرض، ومنها التناسق النفسى بين الخطوات المندرجة فى بعض النصوص والخطوات النفسية التى تصاحبها.

ويتحدث عن بلاغة القصة فى القرآن^(٣) وقيامها بالغرض الدينى على أتم وجه وأدقه، وأبرز الخصائص الفنية فى عرضها إبرازاً لا يدع زيادة لمستزيد.

(١) انظر : التصوير الفنى فى القرآن ص ٥٩ - ٧٠.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٧١ - ١١٥.

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١١٦ - ١٧٩.

ويعود فيؤكد أن للقرآن طريقة موحدة في التعبير، يتخذها في أداء جميع الأغراض على السواء حتى أغراض البرهنة والجدل، وهى طريقة التصوير التشخيصى بوساطة التخيل والتجسيم^(١).

ويلقانا كتاب الاستاذ الدكتور : أحمد بدوى وهو "من بلاغة القرآن"

وقد بدأه بمقدمة رسم فيها المنهج الذى يجب أن يكون لدراسة النص الأدبى ودراسة كاملة ملخصة، أن تدرس مفردات النص أولاً دراسة فنية، لتبين مدى الإصابة فى اختيارها ومدى تمكنها فى موضعها من جملتها وقوة ربطها بأخواتها، ثم تدرس الجملة فى النص لإدراك سر قوتها وجمالها. والمجال فسيح أمام علوم البلاغة الاصطلاحية التى تدرس أسباب الجمال فى تكوين الجملة العربية، فتبحث لِمَ قُدِّمَ هذا الجزء من الجملة؟ ولم آخر ذلك؟ ولماذا كان الحذف أو الإثبات؟ ولم جاء هنا - مثلاً - التعريف أو التذكير؟ ولم استخدم الخبر فى موضع الإنشاء؟ إلى غير ذلك من أبحاث تتصل بالجملة والجملتين، ثم يدرس النص برمته فينظر إليه على أنه وحدة متصلة الأجزاء فيرى مدى ارتباط بعضه ببعض، ومدى تضافر أجزائه على رسم الصورة التى يريد النص توضيحها، ومدى الإصابة فى ترتيب الأجزاء، كى يؤدي سابقها إلى لاحقها، حتى إذا تم النص صارت فكرته واضحة فى النفس ومؤثرة، ولابد من دراسة المعانى التى احتواها النص لمعرفة القوى منها والضعيف، وحاله دخل فى تكوين الصورة، وما هو دخیل، وكيف نسقت هذه المعانى حتى التأمّت وحدة تنبض بالحياة.^(٢)

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٩٠.

(٢) من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى ص هـ بتصرف نشر مكتبة بهضة مصر مطبعة لجنة البياض

العربى.

وعلى هذا المنهج سار المؤلف فى كتابه سالف الذكر يبحث عن بعض أسرار سمو القرآن الكريم وقسمه على كتابين: الكتاب الأول خصصه لدراسة بلاغة القرآن فى النظم والأسلوب، واستهله بمقدمات تمهيدية تحدث فيها عن العمل الأدبى، وختمه بالحديث عن مزايا القرآن وجمال أسلوبه، أما الكتاب الثانى فيخصصه للحديث عن المعانى التى تناولها القرآن الكريم.

إن هذا المنهج الذى سار عليه الأستاذ الدكتور أحمد بدوى وهو الذى يبحث عن أسرار التراكيب وبيان عناصر الجمال فيها يلقى الآن كل تشجيع وتقدم وازدهار حتى تأخذ البلاغة العربية مكانها وتفخر بأبنائها فى عصرنا الحديث، ولعل ما قامت به المعاهد العالية والكلليات الجامعية المعنية بالدراسات العربية بتوجيه أنظار أبنائها إلى البحث فى ميدان البلاغة والنقد، كان سبباً فى ظهور رسائل جامعية كان لها أثرها فى نهضة البلاغة منها :

أثر قضية اللفظ والمعنى فى تدوين البلاغة العربية للدكتور على العمارى.

وأثر القرآن فى تطور النقد العربى للدكتور محمد زغلول سلام.

وبلاغة الزمخشري للدكتور محمد أبو موسى.

وهذا يبسر لنا الطريق الذى نسير فيه، حيث ينبغى علينا فى تشكيل بلاغتنا الحديثة أن نعى ببيان الأساليب الأدبية المتفاوتة وفنون الأدب المختلفة، حتى نلائم بين بلاغتنا وأدبنا الحديث وأساليبه وفنونه، مع الحرص على الانتفاع بتراث أسلافنا البلاغى القيم الذى أودعوا فيه خصائص لغتنا الأدبية ومقوماتها البيانية والبلاغية.

الخاتمة

لعل ما يصبو إليه من أراد القراءة أن يستخلص ما يفيد، وهذه الخاتمة التي اتجهت إليها راجية منها أن يلم الباحث في ميدان البحث البلاغي بما هو مفيد له في بحثه، وبما يجب أن يسير عليه حتى يصل إلى هدفه المنشود من التوصل إلى فهم البلاغة عن طريق البحث فيها وفي ذخائر ونفائس العربية وعلماؤها، خاصة علماء البلاغة وما توصلوا إليه من نتائج وما بذلوا في هذا العلم من جهود.

ومن أجل هذا فلقد اجتهدت في تعريف البحث البلاغي اعتقاداً منى أنه بحث مستقل عن البحث في اللغة، أو الأدب في حد ذاته أو عصوره المختلفة، حتى إنني حاولت في كل خطوة من خطوات البحث البلاغي أن أعطي مثلاً - للسير في خطوات البحث - لكيفية الاتجاه إلى الناحية البلاغية دون التركيز على الناحية الأدبية، وهو خيط دقيق يفصل بينهما - الأدب والبلاغة - وهو كيفية الأداء؛ لأن الأديب يتحدث عن فكرة معينة بأسلوب أدبي فيه هذه العاطفة التي تترجم الفكرة بأحاسيس مصورة ومجسمة بالصوت والحركة والألوان، وكل هذا بطريقة الأداء البلاغي من تشبيه ومجاز لغوي ومجاز مرسل وكناية وعن طريق نظم هذا الأداء من تقديم أو تأخير أو إيجاز أو اطناب أو قصر أو فصل ووصل .. الخ من مجال علم المعاني، وعن طريق الأداء اللفظي وطريق الكلمة الفصيحة والبليغة ووضعها في مكانها اللائق بها، والكلمة المحسنة للمعنى، للفظ، مما يوصلنا إلى استخدام البديع، وفي ذلك ثراء للباحث في البلاغة والناقد البلاغي، ومما يوصلنا إلى هذا خطوات سرت عليها كان من أهمها : أن يقرأ الباحث قراءة

واسعة، ليحيط علماً بكل ما يدور حول بحثه سواء أكانت على لسان محدثين أم قدامى، وسواء أكانت محمولة إليه بوساطة المطبوعات أم المخطوطات، ومن هذا تبرز أمام الباحث عمليتان جسيمتان، هما: الاستقراء والاستنباط، فالاستقراء هو جمع المادة ثم تستنبط خلاصتها، كأن يصل إلى الحقائق الجزئية كالقصيدة الواحدة من شعر الشاعر، واستنباط الحقائق الكلية في الحكم على شعر الشاعر، ثم يخرج من ذلك بحكم عام على بعض القضايا العامة التي تستنبط من اللوحات الأسلوبية لعصر الشاعر مثلاً، وذلك كما سبق الحديث عن أبى العلاء المعرى وما اشتهر عنه بالإحاده ومهاجمته للديانات واستشهدوا ببعض شعره، إلا أن هناك ما أثبت ديانته واتضح هذا بالاستقراء والاستنباط، مما أدى إلى فائدة بلاغية ظهرت في طريقة أدائه وتعبيره عن عواطفه التي اختلفت باختلاف أحواله وأيامه التي عاشها، مما ينحو بالباحث إلى وجوب التأمل الطويل عند كل ما يقرأ، والدقة المتناهية في تفسير الآراء التي يقرأها عن بحثه، وينتبه لما يمكن أن يحدث من تصحيف لبعض نقاط الكلمة فتعطينا معنى آخر لكلمة أخرى، أو تحريف لبعض الكلم عن مواضعه، ولعل مرجع ذلك إلى ملكة الباحث وقد رته على تشخيص العلل للظواهر المميزة لبعض العصور، ومما لا يخفى على الباحث أيضاً أنه يجب عليه ألا ينساق وراء بحثه فيؤثر عليه سلطان الهوى، فيركن إلى عاطفته مبتعداً عن الحقيقة المنشودة، ويتناسى رسالته في الدقة والاعتدال في الحكم، مما يجعله يغمض عينيه عن المساوئ، فيجسم المحاسن، ويحيد عن بحثه البلاغى في تبيان الجيد من الردي من الكلام، والأحكام النقدية العامة التي تتفق وبحثه.

ومما هو جدير بالذكر، على الباحث في البلاغة أن تكون لديه ملكة التحليل والتذوق، وهى تنتج عن طول انكبابه على قراءة الشعر، وآثار القدماء والمحدثين من الأدباء، وأن تكون لديه حاسة فنية تمكنه من تذوق النص تذوقاً سليماً يتأثر بشخصيته وما يمتزج فيها من مشاعر وأحاسيس وأهواء وعادات، ويتجرد من كل عنصر يفسد هذا التذوق حتى يكون تذوقه سليماً سديداً، ويعلل له تعليلاً على أسس بلاغية توضح جماله وتأثيره فى النفوس.

فإذا كان موضوع البحث البلاغى هنا ظاهرة بلاغية فى عصر من العصور أو تحليل لقصيدة معينة فى فن معين، أو تحليل وتذوق لعمل أدبى نثر أو شعر، فينبغى أن يُحَلَّلَ إلى العناصر التى يتكون منها، حتى تتضح الرؤية البلاغية فى العمل الأدبى، فمثلاً شعر زهير ابن أبى سلمى فى العصر الجاهلى يرد إلى التصوير ومدى العناية به، والتصوير يحل بمعرفة التفاصيل المستخدمة فى شعره من إبرازه للصورة البلاغية عن طريق التشخيص والتجسيم والحركة واللون والصوت باستخدام العبارات التى تشتمل على الفصاحة والبلاغة، ومدى مطابقة كلامه لمقتضى الحال.

وعلى الباحث أيضاً أن يتثبت من آراء غيره ، ويوافق ما يقره المنطق والأحداث، وصدق الرواية وأمانة المؤلف.

وللباحث أن يختار موضوع البحث اختياراً يتحقق فيه الجودة والأصالة مما يجعل بحثه جيداً، ويدفعه إلى التوصل إلى نتائج طيبة، تكون له وليست عليه، فتحسب له فى ابتكاراته، ومن أجل ذلك يعالج بحثه ناحية فكرية أو اجتماعية، فعلى سبيل المثال يختار الباحث أحد

الشعراء ليرز بلاغته، فيتناول ما يهم المجتمع من أفكار ذلك الشاعر في ضوء لغته المبلغة لأفكاره وأحاسيسه بأساليب بلاغية يظهر فيها مدى تشخيصه للأحداث المختارة المؤثرة في المجتمع وتجسميه لها عن طريق رسم الصورة البلاغية، ويؤدى ذلك بوضوح وسلاسة مع ملائمة ذلك بالوقت الكافى لاعداد بحثه، حتى يتسنى له أن تتضح شخصيته التى يتناول بها الموضوع، حتى ولو كان مطروقا قبل ذلك، فالباحث بذكائه وسعة اطلاعه، وكثرة استقراءه واستنباطاته، وملكته الخصبة وموهبته اللغوية والبلاغية يستطيع أن يبرز جانباً جديداً، حتى يصبح الموضوع القديم جديداً، فالذين كتبوا فى قضية الإعجاز القرآنى كثيرون، وستبقى الكتابة فيها إلى يوم الساعة بمشيئة الله؛ وذلك نظراً لأهمية الموضوع وجدته ورحابته، فقد كتب فيه علماء العربية منذ نزول القرآن ومعرفة تأثيره على النفوس، ونظمه البديع المعجز إلى يومنا هذا.

وبعد أن يجمع الباحث بحثه يرتبه وينسقه ويضعه فى فصول منظمة، بحيث لا تختلط أفكاره ولا تتمزق فتتأثر متفرقة بدون ترتيب يعمل على انجاح العمل.

وللباحث بعد ذلك أن يقدم لبحثه، ثم يعرض لموضوعه ثم يختم له بخاتمة تناسب موضوعه من حيث العرض والأفكار والنتائج المناسبة له، ومن البدهى أن يكون ذلك فى وضوح وسلاسة فى التعبير مع فصاحة الألفاظ وعدم تعقيدها وجمال نظم العبارات المكتوب بها ذلك البحث البلاغى الذى يُعدّ أولى البحوث بتلك الميزة.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً، أن يكون للبحث عنوان يشوق القارئ ويجذب انتباهه فيسعى لقراءته من يطلع عليه.

ولكى يكون البحث فى قالب الجودة، يختط له الباحث خطة منظمة مرتبة حسب قواعد وأصول الموضوع، وذلك فى أبواب وفصول تشتمل على الأفكار العامة ثم التى تليها بالترتيب المنظم.

ولإخراج البحث منظماً ومرتباً فى صورة مرضى عنها، لا يجب أن ينسى الباحث إعداد المراجع اللازمة لبحثه، وكتابة المادة المستخدمة فى ذلك البحث، والذى سيستعين بها الباحث ويكون ذلك فى بطاقات أو دوسيهات ليرتب أفكاره وينظمها حسب ما يقتضيه نظام البحث.

وليكون العمل مثمراً فإنه يجب على الباحث أن يعد دليل محتوى البحث وهو الفهارس التى تحتوى على كل ما جاء فى بحثه من فهرس للموضوعات وفهارس أخرى للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقوافى والأمثال السائرة والبلدان والأنهار والأعلام، والأحداث والسنين والمصطلحات البلاغية، والمراجع والمصادر وقد لا يحتاج كل بحث لكل هذه الأنواع من الفهارس مجتمعة.

ولا ينسى الباحث مشقة مرحلة الكتابة لبحثه، فهى على جانب كبير من الأهمية، فليهيئ نفسه لتحديد الموضوع الأساسى، وليبعد عن موضوعه الزائد عنه، وما يجعله تحت النقد اللاذع لخروجه عن الموضوع ولحشوه أو تطويله أو لاختصاره المخل، وهذا ينافى البلاغة ويفسد تماسك الموضوع ويذهب رونقه.

ومما يجعله فى مرآة جليلة حسن تنظيمه عن طريق ترقيمه ترقيمياً
يناسب منهج اختياره لطريقة البحث التى سار على نهجها من ترقيم
موحد لكل باب على حدة أو لجميع صفحات البحث، وهذا حسب ما
يقتضيه استقلالية أفكار بحثه.

وعليه أن يشير إلى المصادر والمراجع التى اقتبس منها
معلوماته واستمد أفكاره .

ويجب أن تتضح هوامش البحث بكل ما فيها من إشارة إلى
استخدام كل مرجع بما فيه من معلومات ترشد القارئ إليه حتى يرجع
إلى ذلك المصدر وتزداد معرفة القارئ وثقافته.

ومما يتم الفائدة على الباحث أن تكون مقدمة البحث صورة
توضيحية له، مع بيان سبب التأليف وإلقاء الضوء على فكرة البحث
وأبوابه وفصوله وأبرز المراجع التى ساعدت الباحث على الكتابة،
والصعاب التى واجهته أثناء تلك الكتابة، ثم يختم المقدمة راجياً أن
يكون بحثه مفيداً فينتفع به من يقرأه.

وفى النهاية يختم بمبتكراته العلمية البلاغية التى توصل إليها أثناء
بحثه ويكتبها على حسب أهميتها وجودتها فى نظره، وهى صورة
موجزة للقارئ عن فائدة البحث وأهميته فهى مرآة ترينا نزعة البحث
ومساره وليبلغ الغاية التى يهدفها المؤلف.

ومما هو جدير بالذكر، أنه فى أثناء عرضى لمنهج البحث،
أنطيت أمثلة مختلفة لميادين البحث البلاغى، وأشرت إلى أخرى برزت
فيها شخصية الباحث، برغم عن اتحاد الموضوع واختلاف الكتاب.

ولتكمّل الفائدة التي أردتها من التعريف بكيفية كتابة بحث بلاغي على أساس قويم كان على أن أعرف القارئ بأهم وأبرز ما يستخدمه من معاجم عربية أو معاجم التراجم والسير، وأمثلة لأهم المراجع البلاغية وجهود علماء البلاغة في عصورها المختلفة.

فالمعاجم أو القواميس هي المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات الخاصة بالكلمات من حيث النطق والتركيب والمعنى والأصل وغير ذلك.

وتحتاج المعاجم إلى إمام كاف بالقواعد الصرفية واللغوية ودقائق علم الاشتقاق، والمقدرة على رد الكلمات إلى أصولها الثلاثية، لذا يجب على الباحث أن يعرف معنى كل كلمة تمر عليه بالبحث عنها في أحد معاجم اللغة التي يجب أن يحتفظ بها لاستخدامها في أوقاتها المناسبة لها، ومن هنا كانت أهمية المعاجم في فتح ما استغلق فهمه على الباحث؛ حيث لا غنى عنها له، وأشارت إلى أن المعاجم العربية نوعان: معاجم الألفاظ، ومعاجم المعاني.

فمعاجم الألفاظ هي التي تفسر المفردات اللغوية وتبين معانيها مع ذكر الاشتقاق والمترادف والمتشابه ولها طريقتان :

الطريقة الأولى : هي ترتيب الألفاظ في المعجم باعتبار الحرف الأخير من الكلمة، ولكل حرف باب، ثم ترتيب كل باب من هذه الأبواب وفقاً للحرف الأول من الكلمة وهكذا، وتسمى هذه الطريقة، طريقة الترتيب على أساس "القافية" ويسير على هذه الطريقة في

الترتيب: القاموس المحيط للفيروزبادى والصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور.

والطريقة الثانية : هى الترتيب الهجائى المعروف، فترتب الكلمات حسب الحرف الأول، وإذا اشتركت الكلمات فى الحرف الأول ترتب حسب الحرف الثانى ويسير على هذه الطريقة "أساس البلاغة" و"المصباح المنير"، "المنجد"، والمعجم الوسيط وغيرها من المعاجم.

ومعاجم المعانى : من أشهرها كتاب الألفاظ لابن السكيت وكتاب "فقه اللغة" للثعالبي وكتاب "المخصص" لابن سيدة، وصدر حديثاً من معاجم المعانى كتاب "الإفصاح فى فقه اللغة" وهذه المعاجم لها خاصيتها بالبحوث، فإذا جال بذهن الباحث معنى ولا يجد اللفظ المناسب الذى يعبر عن هذا المعنى بدقة فإنه يجد بغيته فى تلك المعانى.

ومما هو مفيد للباحث، ولا يفوته استخدامه :

معاجم التراجم والسير : فهى تدل على اهتمام العرب الكبير بالتاريخ وتدوين ترجمات النوابغ والمشاهير فى جميع الفنون ولا تخفى أهميتها فى البحث، ومنها على سبيل المثال لا الحصر معجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان وهما مرتبان ترتيباً هجائياً بحسب الأسماء، ومنها ما رتب بحسب العصور، كـ"كيتيمة الدهر للثعالبي، ومن التراجم التى تتخذ سنة الوفاة أساساً فى ترتيبها مثل "شذرات الذهب" لابن العماد الحنبلي، ومن معاجم التراجم أيضاً الأعلام للزكلى، وهو أحدث معاجم التراجم التى صدرت حديثاً، وهو مرتب حسب الحروف الهجائية، وترتيب الأسماء حسب الحروف الأولى ثم ما يليه، وهو يسير

فى التراجم على حسب الاسم الاصلى للعلم، ويورد فى نهاية كل ترجمة فى الهامش أهم المصادر التى رجع إليها واعتمد عليها وذلك باختصار، إلى غير ذلك من الكثير من كتب التراجم والسير.

أما ما يختص بالمراجع البلاغية التى هى طلبه الباحث البلاغى وبغيته، واستفادته منها عظيمة، فقد ظهر منها قدر كبير فى فترة قوى فيها الامتزاج بين العرب والعجم، واحتاج كثير من المسلمين لشرح الأساليب البيانية، فظهرت الإشارات البلاغية على لسان أبى عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه "مجاز القرآن" لسد حاجة المجتمع الجديد، وسار على نهجه الفراء فى كتابه "معانى القرآن".

وفى القرن الثالث الهجرى دافع الجاحظ عن البيان العربى بعامه وأبرز محاسنه، ودافع عن النظم القرأنى فألف كتابه "نظم القرآن" ولكنه ضاع مع الايام، وكانت الإشارات المبنوثة فى كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان" تحدث فيهما عن النظم القرأنى والنظم العربى بوجه عام، ولقد ظهر أول تعريف للاستعارة على يديه وأمد البلاغيين من بعده بأمنلة من عيون الأدب العربى كانت لهم زاداً لا ينفد ومعيناً لا ينضب.

وسار ابن قتيبة على نهج الجاحظ يدافع عن البيان العربى وعن المجاز فى اللغة، وظهر التبويب للمسائل البلاغية على يديه وذلك فى كتابه القيم "تأويل مشكل القرآن" كما أبرز محاسن الأدب العربى وقرر أن الجمال فى اللفظ والمعنى.

ثم ظهرت الإشارات البلاغية أيضاً على لسان المبرد فى كتابيه "الكامل"، و"البلاغة" ثم ظهر كتاب "قواعد الشعر" لأبى العباس ثعلب الذى أشار فيه إلى بعض المسائل البلاغية والنقدية.

ثم انتقلت البلاغة من مرحلة الإشارات إلى مرحلة الكتب المنهجية على يدى ابن المعتز فى كتابه "البديع" الذى أشار فيه إلى عناصر الجودة لِيُتَّبَعَ، وأبان عناصر الرداءة لِيُجْتَنَّبَ، وأطلق على البلاغة كلها اسم "البديع".

ثم قامت حركة نقدية فى القرن الرابع الهجرى على يد الأمدى فى كتابه "الموازنة بين الطائيين" وكذلك الجرجانى فى كتابه "الوساطة بين المتنبى وخصومه" نظراً للمعركة التى نشبت بين أنصار البديع، وأنصار عمود الشعر العربى، وكذلك بظهور الخصومة بين أنصار المتنبى وخصومه.

ثم قويت بعد ذلك فكرة الصورة البيانية وبرزت عناصر الإعجاز فى النظم القرآنى والكشف عن ناحيتى الجمال فى النظم العربى بوجه عام، ولقد اتضح ذلك فى رسالة الرمانى "النكت فى إعجاز القرآن".

ثم برز كتاب "الصناعتين" لأبى هلال العسكري الذى وضع فيه الهدف من تعلم قواعد البلاغة العربية، وجمع كل ما قيل حول قواعد البلاغة ورتبها فى قوالب مهدت لظهور البلاغة التعقيدية.

ثم تحول الفكر البلاغى إلى النظر فى عناصر الجودة للنظم العربى، وابتعد عن النظر فى المحسنات البديعية أو الأمور البلاغية متفرقة.

حاول الخطابى بعد ذلك أن يوضح النظم فقرّر أنه اللفظ والمعنى، وهاجم الأحكام العامة، ودعا إلى الأسباب الموضوعية للجمال الفنى، وذلك فى رسالته "بيان إعجاز القرآن".

جاء البلاقاني بعد ذلك ناظراً إلى النظم، ولكنه نقل البحوث النقدية من النظرة الجزئية إلى النظرة العامة، ففتح الطريق إلى النقد الموضوعي، وذلك في كتابه "إعجاز القرآن".

أما من مهد الطريق لنظرية النظم فهو عبد الجبار الهمذاني في كتابه "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" فبحث في العلاقات بين الألفاظ.

وكان للشريف الرضي أثر قوى في دراسته حول "مجازات القرآن" مما أدى إلى نمو الصورة البيانية ثم أتانا "سر الفصاحة" لأبن سنان الخفاجي الذي قام بدراسة واسعة حول الألفاظ منفردة ومجمعة، وكذلك المعاني، ففتح الطريق أمام الدراسة المهنجية للمعاني البلاغية.

إلا أننا رأينا ابن رشيق المعاصر له في كتابه "العمدة" يحشر مسائل البديع والبلاغة والنقد متبعاً في ذلك ابن المعتز وأبى هلال العسكري.

ولا نلبيث إلا أن نرى "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني فتناول في الأول تفسير إعجاز القرآن البلاغي، مهتدياً بفكرة عبد الجبار التي يقول فيها، إن الإعجاز يرد إلى فصاحة الكلام. وليس هذا بمعنى حسن اللفظ والمعنى، وما يتصل بذلك من الصور البيانية، وإنما بمعنى الأداء والنسب النحوية للكلام، وأحس بفطنته أن كلمة الفصاحة لا تدل دلالة دقيقة على هذا المعنى، فاختر بدلاً منها كلمة النظم التي شاعت بين الأشاعرة، والتي بنى عليها البلاقاني كلامه في كتابه "إعجاز القرآن" واسترسل في شرح النظم وما يحوى فيه من المعاني الإضافية الناشئة من تعلق الكلمات في العبارة والعبارات

بعضها ببعض، وترتيبها وصوغها حسب مجراها في النفس، بحيث تصبح لها كفياتها الخاصة من التقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، والذكر والحذف، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، والتأكيد والقصر، ومضى يصور ذلك تصويراً جميلاً محلاً لتلك المعاني الإضافية في الأسلوب والأداء، بحيث عُدَّ مؤسس علم المعاني في العربية بلا منازع، وعرض في هذا الكتاب عرضاً مجملاً للصورة البيانية مكتشفاً لما سماه المجاز الحكمي أو العقلي، كما عرض للسرقات الشعرية، ناثراً كثيراً من اللفقات البارعة والآراء الطريفة.

ثم يكشف عن الصور البيانية في كتابه "أسرار البلاغة" وفيه يتجلى حسه الدقيق المرهف في تبين الفوارق بين هذه الصور، ودلالاتها النفسية، وحينما يتحدث عن الجناس والسجع، يثبت أن الجمال منهما لا يرد إلى الألفاظ والجرس الصوتي، وإنما يرد إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيباً يؤثر في النفس، ويمضى إلى الاستعارة فيعرض أقسامها من أصلية وتبعية في الفعل، وتصريحية ومكنية، ثم يحلل ضروب التشبيه تحليلاً بارعاً، ويطيل الوقوف عند التمثيل كاشفاً عن مزاياه النفسية والجمالية، ويستطرد إلى السرقات الشعرية متحدثاً عن المعاني العقلية والتخيلية، ثم يعود إلى البحث في الحقيقة والمجاز اللغوي، بقسميه من الاستعارة والمجاز المرسل، ويتسع الكلام عن المجاز العقلي الذي سماه البلاغيون مجاز الحذف والزيادة، وبذلك وضع عبد القاهر علم البيان، كما وضع من قبل علم المعاني.

وعلى ضوء طريق عبد القاهر سار الزمخشري في "الكشاف" مطبقاً تطبيقاً دقيقاً على الآيات الكريمة كل ما استنبطه عبد القاهر من قواعد وأصول في العلمين جميعاً، ولقد ظهرت ملكاته العقلية مع

إحساسه المرفه، وذوقه الدقيق فى تحليلاته، ورأينا بصره بأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية.

وسرعان ما طمست الينابيع العقلية والذوقية التى أمدت عبد القاهر والزمخشري بكتابتهما البلاغية التى تملأ النفس إعجاباً، وكان من أهم الأسباب فى ذلك، سريان روح الجمود والتعقيد فى الأدب بنوعيه : من الشعر والنثر، وانعكاس ذلك على البلاغيين، فإذا هم يكتفون بتلخيص عبد القاهر، وقد يلخصون معه الزمخشري تلخيصاً جافاً، إذ تدرس البلاغة دون عناية بتحليل النصوص الأدبية، وتمتزج بمباحث منطقية وفلسفية وكلامية وأصولية ونحوية كثيرة، تسرع بها إلى الجمود والجفاف، وكان أول من فعل ذلك الفخر الرازى فكان شغوفاً بالحدود والتعاريف وتشعيب الأقسام، وأقحم مسائل المنطق والكلام والنحو على تلخيصه، مما جعله يتشكل فى صورة من القواعد الجافة الجامدة فى كتابه "نهاية الإيجاز فى دارية الإعجاز".

وخلفه السكاكى فى القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" مستهدياً بصنيعه، فاستعان فى عمله بالمنطق وما أثار المتكلمون والأصوليون والنحاة من بعض الآراء، وضم إلى تنسيقه لعلمى المعانى والبيان ذيلاً تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، وبذلك أصبحت مباحث البلاغة عنده تشمل المعانى والبيان وتوابعهما من البديع. وتحولت إلى قواعد جافة جامدة كقواعد النحو والصرف، مع عسر والتواء ليس بقليل، حتى صنعت لها الشروح تلو الشروح.

وظهرت بعد السكاكى دراسات جانبية انحرف بها أصحابها عن طريقه أو ساروا فيها سيراً غير دقيق، فكان الزملكانى فى كتابه "التبيان المطلاع على أسرار الإعجاز"، وبدر الدين بن مالك فى كتابه "المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع" ثم الخطيب القزوينى فى كتابيه "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح" وبهاء الدين السبكى فى كتابه: "عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح" وسعد الدين التفتازانى فى "المطول والمختصر"، ويحيى العلوى : فى كتابه "الطراز".

ولقد حاول بعض علماء البلاغة إحياء بعض المناهج القديمة فسار ابن الأثير فى "المثل السائر" على منهج ابن سنان الخفاجى فى "سر الفصاحة" كما سار ابن أبى الإصبع المصرى فى "تحرير التحرير" و"بديع القرآن" على منهج ابن المعتز فى كتابه "البديع" ولكن طريقة ابن الأثير لم يقدر لها الانتشار، وتحولت طريقة ابن المعتز إلى البديعيات.

وأهم من نزعوا عن قوس السكاكى الخطيب القزوينى، فإنه صنف تلخيصاً دقيقاً لمباحثه البلاغية فى المفتاح، ذلّل فيه صعوباته، مع الاستئضاء بتلخيص بدر الدين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزمخشري، وهو يناقش الأخيرين كثيراً، أما السكاكى فيخصه بكثير من الاعتراضات على تعاريفه وبعض آرائه، ورأى فى هذا التلخيص إجمالاً أكثر مما ينبغى فصنف كتابه "الإيضاح" يبسط فيه معانيه المجملة، وقضاياه المشكّلة، وأقبل شراح مختلفون على التلخيص يشرحونه، بين مصرى وإيرانى ومغربى، ومن أهمهم السبكى المصرى، وسعد الدين التفتازانى الإيرانى وابن يعقوب المغربى. وكتبت على بعض الشروح حواشى للسيد الشريف الجرجانى، والشيخ

محمد الدسوقي وجميعها تخوض فى مباحث فلسفية منطقية وكلامية وأصولية ونحوية ومناقشات لفظية، وكل يعيد ما قاله سالفه إعادة تصور ما ساد فى المباحث البلاغية من عقم وجمود.

ثم قامت محاولات على أيدي شباب العصر الحديث تريد النهوض بالدراسات البلاغية مثل سيد قطب فى كتابه "التصوير الفنى فى القرآن" والدكتور أحمد بدوى فى كتابه "بلاغة القرآن" وبعض الرسائل الجامعية، وهذه محاولات تسير على منهج الشيخ عبد القاهر الجرجاني والزمخشري، فهى تسهم فى إبراز عناصر الجمال فى الأدب العربى، وعليها يتحقق بيان الجمال فى لغة القرآن الكريم الذى لا يدانيه بشر.

وكان لزاما على المشتغلين بعلوم البلاغة - مع احتفاظهم بطابعها القديم - أن يزيلوا العوائق التى وضعت فى طريقها، وأن يعملوا على تنشيطها وتحديد معالمها، حتى تدب فى عروقها ماء الحياة، وتتدفق فى شرايينها دماء الشباب، وهذا ما تنحو إليه الرسائل الجامعية الآن والتى سبقت الإشارة إلى بعض منها خلال هذا الكتاب.

هذا والمؤلفات الحديثة فى علوم البلاغة لتبسيط قواعدها وتيسيرها كثيرة الآن، وأسلوبها عسرى سهل، ويخلو من الأساليب المعقدة، والأصول الجدلية المنطقية، ليسهل فهمها وتأدية المراد منها فى خدمة الهدف المنشود، وهو محاولة الكشف عن أسرار جمال اللغة العربية، لبيان إعجاز القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- ١- أثر النحاة فى البحث البلاغى - دكتور عبد القادر حسين - دار نهضة مصر - القاهرة
- ٢- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني - تصحيح محمد رشيد رضا - مطبعة الترقى ١٣١٩هـ
- ٣- أصول البلاغة لأبى ميثم البحراني - تحقيق الدكتور عبد القادر حسين - دار الشروق.
- ٤- إعجاز القرآن للباقلانى - تحقيق خفاجى ط ١ صبيح ١٣٧٠هـ.
- ٥- الأعلام للزركلى ط ٢ - دار العلم للملايين.
- ٦- الإيضاح فى علوم البلاغة - للخطيب القزوينى - شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجى ط ٢. الكليات الأزهرية - القاهرة.
- ٧- البحث الأدبى للدكتور شوقى ضيف ط ٦ - دار المعارف.
- ٨- البحث الأدبى ومنهجه - نورى شاكر الألوسى - دار الحرية بغداد ١٩٨٤م.
- ٩- البديع لابن المعتز - نشر كراتشوفسكى - مطبعة ستيفن بمدينة هرت فورت ١٩٣٥م، وهو ضمن كتاب ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان.

- ١٠- البرهان في علوم القرآن للزركشى - تحقيق أبو الفضل إبراهيم ط ١ الحلبى ١٩٥٧م.
- ١١- البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر ط ٣.
- ١٢- بيان إعجاز القرآن - للخطابى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله، الدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر.
- ١٣- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق هارون ط ٢ - الخانجى بالقاهرة والمنتبى ببغداد ١٩٦٠م.
- ١٤- تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ط ١ ١٩٧٨م، دار الطباعة المحمدية.
- ١٥- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر - الحلبى ١٩٥٤م.
- ١٦- التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثى - مطبعة العانى ببغداد ط ١ ١٩٦٤م.
- ١٧- التصوير الفنى للقرآن - سيد قطب - دار المعارف.
- ١٨- تفسير غريب القرآن تحقيق السيد أحمد صقر.

- ١٩- تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى - تحقيق محمد عبد الغنى حسن.
- ٢٠- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تصحيح محمد رشيد رضا - مطبعة الترقى ١٣١٩هـ.
- ٢١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى - تحقيق عبد المتعال الصعدي ط صبيح ١٣٧٢هـ.
- ٢٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلى - تحقيق لجنة إحياء التراث بيروت.
- ٢٣- شروح التلخيص وهى مختصر العلامة التفتازانى - المغربى - السبكي - دار السرور بيروت لبنان.
- ٢٤- الشوقيات لأحمد شوقى - شركة فن الطباعة - المطبعة التجارية الكبرى ١٩٤٨م.
- ٢٥- الصناعتين لأبى هلال العسكرى - تحقيق البجاوى وأبى الفضل ط الحلبي.
- ٢٦- الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء - رسالة دكتوراه - للدكتورة عائشة حسين فريد القاهرة - ١٩٨٩م.

- ٢٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - للعلوى
- راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية -
بيروت لبنان.
- ٢٨- العمدة لابن رشيقي - تحقيق محي الدين عبد الحميد - نشر التجارية
ط ٢ ١٩٥٥ م.
- ٢٩- عيار الشعر لابن طباطبا - تحقيق الحاجري ومحمد زغلول سلام -
المكتبة التجارية ١٩٥٦ م.
- ٣٠- الفهرست لابن النديم تحقيق رضا تجدد.
- ٣١- في المكتبة العربية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول - دار الطباعة
المحمدية - ط ١ ١٩٨٠ م.
- ٣٢- قواعد الشعر لثعلب تحقيق خفاجي ط ١ ١٩٤٨ م.
- ٣٣- الكامل في اللغة والأدب - للمبرد - مراجعة لجنة من العلماء - نشر
التجارية - مطبعة الاستقامة ١٩٥١ م.
- ٣٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -
للمخشي - مطبعة البابي ط ٢ ١٩٧٢ م.
- ٣٥- لسان العرب لابن منظور.

٣٦- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق
الدكتورين بدوى طبانة وأحمد الحوفى نهضة مصر - ط ١
١٣٧٩هـ.

٣٧- مجاز القرآن لأبى عبيدة - علق عليه وعارضه بأصوله الدكتور
محمد فؤاد سركيس - مكتبة الخانجي - القاهرة.

٣٨- المختصر فى تاريخ البلاغة للدكتور عبد القادر حسين - دار
الشروق ط ١ ١٩٨٢م.

٣٩- ماسئل الانتقاد لابن شرف القيروانى، تحقيق الدكتور النبوى عبد
الواحد السيد شعلان ط ١ - مطبعة المدنى ١٩٨٢م.

٤٠- معانى القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على
النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

٤١- المعاجم العربية دراسة تحليلية للدكتور عبد السميع محمد أحمد -
دار الفكر العربى.

٤٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - عبد الرحيم العباسى -
حققه وعلق على حواشيه محمد محى الدين عبد الحميد - عالم
الكتب - بيروت.

٤٣- ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان - محمد عبد المنعم
خفاجى - دار العهد الجديد للطباعة.

- ٤٤ - معجم الأدباء - ياقوت الرومي - مطبوعات دار المأمون - راجعته
وزارة المعارف.
- ٤٥ - المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - عبد الجبار ج١٦ - تحقيق
أمين الخولى - نشر وزارة الثقافة دار الكتب.
- ٤٦ - مفتاح العلوم للسكاكى - ضبط وشرح نعيم زرزور - دار الكتب
العلمية - بيروت.
- ٤٧ - مقدمة شرح نهج البلاغة لأبى ميثم البحرانى - فن البلاغة
والخطابة وفضائل الإمام على تحقيق وتقديم الدكتور عبد القادر
حسين - دار الشروق ط ١ ١٩٨٧م.
- ٤٨ - المكتبة والتربية - عبد ربه محمد وعبد الجليل السيد حسن - دار
الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.
- ٤٩ - من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى - مكتبة نهضة مصر -
مطبوعة لجنة البيان العربى.
- ٥٠ - نشأة الفنون البلاغية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول مطبعة
لطفى ١٩٨١م.
- ٥١ - نقد الشعر لأبى قلدامة بن جعفر - تحقيق كمال مصطفى - مكتبة
الخانجى.
- ٥٢ - النقد المنهجى محمد مندور - نهضة مصر.

٥٣- النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن.

رسائل جامعية للاطلاع مثل :

١- التشبيه فى ديوان الصنوبرى - عائشة حسين فريد - رسالة ماجستير

القاهرة ١٩٨٦م.

٢- التشبيه فى ديوان امرئ القيس. زينب عبد الجواد رزق شتا -

رسالة ماجستير - القاهرة.

٣- الصورة الفنية فى ديوان - أحمد شوقى. عزيزة عبد الفتاح الصيفى

رسالة ماجستير القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	
المقدمة	٩
[الفصل الأول]	
التعريف بالبحث :	١٣
خطوات كتابة البحث	
١- القراءة الواسعة	١٨
٢- التأمل الطويل والدقة المتناهية فى التفسير	٢١
٣- البعد عن سلطان الهوى	٢٤
٤- القدرة على التحليل والتذوق	٢٦
٥- الحذر من آراء الآخرين	٣٠
٦- الجدة والابتكار والأصالة	٣٤
٧- تأثير البحث فى الفكر والمجتمع	٣٥
٨- الوضوح	٣٧
٩- اختيار الموضوع	٣٨
١٠- شخصية الباحث	٣٩
١١- تنسيق مواد البحث مع عرضها وحسن أدائها	٤٧
١٢- عنوان الموضوع	٤٨
١٣- الخطأ	٤٨
١٤- المصادر والمراجع	٥٠

- ١٥- مرحلة تدوين المعلومات : ٥٢
- أ - اعداد البطاقات ٥٢
- ب - طريقة الملفات (الدوسيه) ٥٣
- ١٦- كتابة البحث : ٥٣
- أ - الترتيم ب - الفهارس ٥٥
- ج - الإشارة إلى المصادر والمراجع ٥٣
- د - المقدمة ٥٣
- هـ - الخاتمة ٥٧

[الفصل الثاني]

- أولاً : المعاجم أو القواميس العربية وهي نوعان : ٦١
- ١- معاجم الألفاظ ولها طريقتان في البحث : ٦٢
- الطريقة الأولى تضم : ٦٢
- * لسان العرب.
- * القاموس المحيط.
- * الصحاح.
- الطريقة الثانية تضم : ٦٣
- * أساس البلاغة.
- * المصباح المنير.
- * المنجد.
- * المعجم الوسيط.
- ٢- معاجم المعاني ومن أشهرها : ٦٣

* كتاب الألفاظ.

* فقه اللغة.

* المخصص.

* الإفصاح فى فقه اللغة.

ثانياً : معاجم التراجم والسير : ٦٤

* معجم الأدباء.

* وفيات الأعيان.

* يتيمة الدهر.

* البدر السافر وتحفة المسافر.

* الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة.

* البداية والنهاية.

* شذرات الذهب.

* الأعلام.

* معجم المؤلفين.

ثالثاً : موسوعات عربية مثل :

* معجم البلدان.

* الأغانى.

[الفصل الثالث]

أهم مراجع المكتبة البلاغية

بحسب عصورها المختلفة

١- نبذة عن البلاغة فى العصر الجاهلى والإسلامى ٦٩

- ٢- أثر القرآن الكريم على العرب ٧١
- ٣- النقد في العصر الأموي ٧١
- ٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٢
- ٥- معاني القرآن للفراء ٧٣
- ٦- البيان والتبيين للجاحظ ٧٤
- ٧- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٧٦
- ٨- أ - الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٧٨
- ب - البلاغة : ٧٩
- ٩- قواعد الشعر لثعلب ٨١
- ١٠- البديع لابن المعتز ٨١
- ١١- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٨٤
- ١٢- عيار الشعر لابن طباطبا ٨٦
- ١٣- نقد النثر "البيان" اسحاق بن وهب ٨٧
- ١٤- الموازنة للآمدى ٨٨
- ١٥- الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجاني ٩٠
- ١٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - للرماني - ٩١
- ١٧- الصناعتين لأبي هلال العسكري ٩٢
- ١٨- بيان الإعجاز القرآني للخطابي ضمن ثلاث رسائل ٩٥
- ١٩- إعجاز القرآن للباقلاني ٩٧
- ٢٠- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار الهمداني ٩٩
- ٢١- البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى ١٠٠

- ٢٢- العمدة فى صناعة الشعر لابن رشيق القيروانى ١٠٢
- ٢٣- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ١٠٣
- ٢٤- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ١٠٦
- ٢٥- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ١٠٧
- ٢٦- الكشف للزمخشرى ١١٠
- ٢٧- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز فخر الدين الرازى ١١٢
- ٢٨- مفتاح العلوم للسكاكى ١١٣
- ٢٩- التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن
الزملكانى ١١٥
- ٣٠- المصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك ... ١١٧
- ٣١- الإيضاح فى المعانى والبيان للخطيب القزوينى ١١٨
- وله : تلخيص المفتاح ١١٨
- ٣٢- شروح التلخيص ويتضمن : ١١٩
- * عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى
- * مختصر على تلخيص المفتاح - سعد الدين التفتازانى وله المطول
- * مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح - لابن يعقوب المغربى
- * وطبع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص وهو كالشرح له
- * وحاشية الدسوقي على شرح السعد
- ٣٣- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ١٤٠
- ٣٤- تحرير التحبير - لابن أبى الإصبع المصرى.
- ٣٥- بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى ١٢٢

- ٣٦- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان المنسوب
 لابن قَيِّم الجوزية ١٢٢
- ٣٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ... ١٢٣
 * مرحلة النهوض بالبلاغة في القرن الرابع عشر الهجرى وعلمائه :
- ٣٨- التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ١٢٧
- ٣٩- من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى ١٢٩
- الرسائل الجامعية : ١٣٠
- * أثر قصية اللفظ والمعنى فى تدوين البلاغة العربية للدكتور على العمارى.
- * أثر القرآن فى تطور النقد العربى للدكتور محمد زغلول سلام
- * بلاغة الزمخشري للدكتور محمد أبو موسى
- الخاتمة ١٣١
- المصادر والمراجع ١٤٧
- فهرس الموضوعات ١٥٣

هذا الكتاب

هذه خطوات تضيئ الطريق أمام من يريد
معرفة كيفية البحث البلاغي والدرس والتتقيب عن
كنوز المعرفة البلاغية وأسرارها، ليصير الطريق
أمامه ممهداً، فتتكون لديه القدرة على التأليف وكتابة
الأبحاث بطريقة علمية منهجية.

وفيه أضواء على ما يساعد الباحث بالتعرف
على ذخائر ونفائس أمهات كتب اللغة، وأبرز ما
يستخدمه من معاجم اللغة ومعاجم التراجم والسير،
والمصادر والمراجع البلاغية التي هي زاد الباحث
في رحلته مع البلاغة التي تطورت عبر العصور،
مما يضيئ الطريق أمامه .

عبد غريب